مباحث التشبيه

عند الإمام بدر الدين الزركشي

عرض وتحليل وموازنة

الدكتور عبد الحميد أحمد محمد علي

مدرس البلاغة والنقد الأدبي
في كلية اللغة العربية بالقاهرة

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٣٦٢٧٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ·

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب · رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين · واجعل لى لسان صدق فى الآخرين · واجعلنى من ورثة جنة النعيم ·

حمدا لمن تفرد بالكمال · واتصف بنعوت الجمال والجلال · والصلاة والسلام على رسول الهدى · والنبى المجتبى سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم ·

وبعد ··

فان الامام بدر الدين الزركشى من العلماء الأخيار الذين أسهموا بقسط وافر فى الدراسات القرآنية وكان له منهجه الخاص وأسلوبه المتميز فى تلك الدراسات · ولقد نشأت البلاغة العربية ونمت وترعرعت وآتت أكلها فى ظل الدراسات القرآنية · لذلك رأيناها عذبة المورد · طيبة الجنى · باسقة الفروع عند الرمانى والباقلانى وعبد القاهر والزمخشرى والزركشى ويوم أن بعدت عن هذا المورد العذب · ذبل عودها · ونضب ماؤها · وفقدت

نضرتها وبهاءها وأصبحت قواعد تحفظ وتردد فى مدرسة السكاكى وتلاميذه المخلصين المحافظين على قواعـــده ورسومه ٠

ومبحث التشبيه الذى هو موضوع هذا البحث عاصر العهـدين ، وزامن الفترتين ، ففى ظل المدرســة الأولى نجده خاليا من تلك التقسـيمات والتفريعات الا ما تدعو اليه الضرورة ومرتبطــا بالنص القرآنى لا ينفك عنــه ولا يفارقه ٠ فأصــبح حيا بكل ما فى هـذه الـكلمة من معان ٠

أما فى ظل المدرســة الثانية فقد كثرت تقسـيماته وتنوعت تفريعاته ٠ واختلطت مباحثه بمباحث الفلسـفة والمنطق ٠ فأصبح رســوما وحدودا وتعريفات خالية من كل مضمون حى نابض بالحياة ٠

هذا ولقد اخترت هــذا البحث وجعلت عنوانــه : مباحث التشبيه عند الامام بدر الدين الزركشى ٠ عرض وتحليل وموازنة :

حاولت فى هـذا البحث أن اترجم للامام الزركشى ترجمة موجزة تبين لنا معالم حيــاة ذلك الرجل فذكرت اسمه ومولده مع الاشارة الى رحلاته وطلبه للعلم ثم كان الحديث عن أخلاقه وسمات منهجه فى التــأليف وكان لابد من الحديث عن مصادرة فى مبحث التشـبيه وهى مصادر أصيلة لها جذورها العميقة فى شــجرة التراث العربى الأصيل ٠ وبما أن الرجل آثر العزلة والابتعاد عن دنيا الناس فقد آثر صداقة الكتاب على صــداقة الناس فكثر انتاجه وتنوعت تآليفه فى مختلف الفنون والعلوم وكان أهمها كتــاب البرهان فى علوم القرآن ٠ والذى

درست مبحث التشـــبيه فيه باعتباره فنا بلاغيـــا من أساليب القرآن وفنونه البديعة ٠

ثم بعد ذلك تحدثت عن مباحث التشبيه عند الامام الزركشى ٠ وهى ستة مباحث ٠

فى المبحث الأول :

ذكرت أهمية التشبية وبيان فضله ٠ كما بينها الامام الزركشى مشـيرا الى تأثره بالخطيب القزوينى وافادته منه ٠

ثم ذكرت التعريفـات الثلاثة للتشـــبيه عند الامام الزركشى مبينا أن التعريف الأول ٠ وهو صاحبه ، جاء غير شـامل لجميع أفراد المعرف ٠ والتعريف الثـــانى كان لنجم الدين بن الاثيـــر الحلبى وجاء غير كامـــل أيضا ٠

أما التعريف الثالث فقد اثبت أنه للمطرزى وقـــد بين الامام العلوى صاحب الطرازز فسـاد هذا التعريف لذلك كان لابد ـ من تعريف ثالث التشبيه يكون جامعـا مانعا ٠ كما يقول أصحاب الحدود والتعريفات فاخترت تعريف صاحب الطراز للتشبيه لأنه جاء جامعا مانعـا ٠ شـاملا لجميع أفراد المعرف مانعـــا لدخول غير أفراده فيه ٠ ثم شرحت معنى قول الزركشى : التشبيه حـــكم اضافى لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة مـــــع الافادة من ابن القيم فى هذا الشرح ٠

وفى المبحث الثانى :

كان موضوعه : الغرض من التشبيه :

ولقد لاحظت أن الامام الزركشى ذكـر غرضين فقط من أغراض التشبيه ٠

فى الغـــرض الأول بينت افادتـــه من الزملكانى والخطيب القزوينى ٠

أما الغرض الثـــانى فأثبت أنه لابن القيم رحمـــه الله ٠ ولما كان الامام الزركشى لم يذكر ســـوى غرضين فقط للتشبيه فى هذا المبحث فقد كان لزاما على أن أذكر أغراض التشبيه بالتفصيل ٠ منها ما يعود على المشـبه ومنها ما يعود على المشـــبه به مع الاســـتشهاد لهـذه الأغراض من فصيح العربية شعرها ونثرها ٠

وفى المبحث الثالث :

كان موضوعه يدور حول اجابة هذا السؤال : هـل التشبيه حقيقة أو مجاز ؟٠

فالامام الزركشى ينقـــل رأيين فى ذلك : الأول : للزنجانى فى المعيـــار الذى يرى أنه حقيقة ـ والثـانى لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الذى توســط فقال ان كان بأداه فهو حقيقة وان كان بغيرها فمجاز ٠ هـذا ما ذكره الزركشى فى هـــذا المبحث ولكنى رأيت اكمالا للموضـوع أن أذكر آراء هؤلاء العلمـاء ٠ الامام العلوى صاحب الطراز وابن الاثير الحلبى وابن الاثيـر الجزرى وابن القيم والامام فخر الدين الرازى ثم بعد أن بينت آراء هؤلاء العلماء من مصادرهم كانت خلاصـــة لهذا المبحث ٠

وفى المبحث الرابع :

هذا المبحث كان موضوعه : أدوات التشبيه ٠

فى هذا المبحث عرفت الأداة وبينت أقسامها عند الزركشى وهى ثلاثة : اسماء وأفعال وحروف . مع التمثيل لهذه الأقسام . وبيان أن الاداة فى قوله : مثل الفريقين كالأعمى : هى الكاف وليست مثل كما قال بذلك الزركشى لأنه مثل بها فى أدوات الاسماء . كذلك نبهت الى أن قوله تعالى : ان البقر تشابه علينا : لا يفيد التشبيه - لأن الفعل فى الآية الكريمة لازم وليس متعديا فهو يفيد معنى التساوى أو الاختلاط ومع ذلك فقد مثل الامام الزركشى بهذه الآية . فى أدوات التشبية « الأسماء » . أما الحروف فقد أشار الى أنها بسيطة كالكاف ومركبة - كأن - ولم يبين الفرق بينهما فكان لزاما على أن ابين ما بينهما من فروق واختلاف مع الاشارة الى أنه قد ذكر بعض هذه الفروق فى مواطن أخرى فى مبحث التشبيه .

وفى المبحث الخامس :

كان موضوعه : أقسام التشبيه :

فى هذا المبحث بينت أقسام التشبيه عند الامام الزركشى وهى ثلاثة :

التقسيم الأول :

اما أن يكون بأداة أو بغيرها : والذى يكون بغيرها وهو ما سماه بالتشبيه البليغ يشبه الاستعارة فى بعض المواضيع والفرق بينهما ، كما قاله حازم القرطاجنى أن تقدير حرف التشبيه لا يجوز فى الاستعارة والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه . ثم ذكر رأى الرمانى والزمخشرى والسكاكى فى الفرق بينهما . ورأيت اكمالا لهذا المبحث أن أذكر معظم آراء العلماء فى هذه القضية .

فأبو هلال العسكرى والغانمى والآمدى والخفاجى ومن لف لفهم لايرون أن هناك فرقا بينهما :

أما القاضى الجرجانى ، وعبد القاهر الجرجانى والزمخشرى والسكاكى فهم يرون ان التشبيه البليغ من باب التشبيه المضمر الآداه وليس من وادى الاستعارة . ولهؤلاء العلماء واولئك حجج وبراهين على آرائهم فذكرتها بالتفصيل مع الاشارة الى المصادر التى أفدت منها فى هذه القضية .

أما التقسيم الثانى :

فكان باعتبار طرفى التشبيه . الحسى والعقلى منهما . ينبت فى هذا التقسيم ان الامام الزركشى أفاد من ابن القيم وكان لزاما على أن احدد مفهوم المشبه والمشبه به وابين المقصود من الحسى والعقلى منهما مع بيان ذلك فى أمثلة توضيحية ..

التقسيم الثالث :

كان باعتبار الافراد والتركيب : لاحظت فى هذا التقسيم ان الامام الزركشى لم يمثل الا للتشبيه المفرد والمركب ولم يحدد الا مفهوم المركب فقط : أما التشبيه المتعدد والمفرد فلم يحدد مفهوم المفرد ولم يمثل الا لتشبيه المفرد بالمركب : أما مفهوم المتعدد وأمثلته فلم يتعرض لهما لذلك حددت مفهوم المفرد والمتعدد ومثلت لهما . وبذلك اصبحث صورة هذا التقسيم واضحة الملامح بينة القسمات :

أما المبحث السادس والأخير :

فكان موضوعه : بعض القواعد فى مبحث التشبيه :

فى هذا المبحث ذكر الامام الزركشى سبع قواعد تتعلق بالتشبيه ٠

القاعدة الأولى :

فى هذه القاعدة بين الامام الزركشى أنه قد تشبه أشياء بأشياء ثم تارة يصرح بذكر المشبهات وتارة لا يصرح بها بل تجىء مطوية على سنن الاستعارة ٠ ثم ذكر بعض الشواهد على هذه القاعدة من القرآن الكريم ولقد لاحظت أن الامام الزركشى نقل هذه القاعدة وأمثلتها عن الزمخشرى دون أن يضيف اليها جديدا مدعما ذلك بالدليل ٠

القاعدة الثانية :

تتعلق بمراتب التشبيه ٠ وبيان أبلغيتها ٠ فأعلى مراتب التشبيه ترك وجه الشبه وأداته مثل زيد أسد ٠ أما ترك وجه الشبه دون الأداة فقد نقل عن السكاكى أنه ابلغ من ترك الأداة ٠ لعموم وجه الشبه ثم نقل عن صاحب ضوء الصباح مخالفته للسكاكى فى ذلك ٠ واكمالا لهذه القاعدة ذكرت جميع مراتب التشبيه عند السكاكى مشيرا الى ما قاله فى كل مرتبة ثم أتبعت ذلك ببعض الأمثلة التوضيحية مع بيان وجه أبلغيتها :

القاعدة الثالثة :

كان موضوعها : دخول أداة التشبيه على مشبه به مقدر :

فى هذه القاعدة بين الامام الزركشى أن أداة التشبيه قد تدخل على شىء وليس هو عين المشبه به ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب ٠ كما فى

قوله تعالى : كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحولريين من أنصارى الى الله : المراد كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى اذ قالوا . ثم ذكرت تقدير المشبه به المحذوف الذى دخلت عليه أداة التشبيه عند الزمخشرى والخطيب ود. الحجار وبينت أنه ليس هناك اختلاف كبير بين هؤلاء العلماء فى تقدير المشبه به المحذوف فى الآية الكريمة السابقة .

القاعدة الرابعة :

كانت تدور حول تحقق هذا الشرط فى وجه الشبه :

ان يكون فى المشبه به أتم وأكمل . أما قوله تعالى : مثل نورة كمشكاة . فيمكن أن يكون المشبه به أقوى لكونه فى الذهن اوضح اذ الاحاطة به أتم . وقوله تعالى: ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . فهو من تشبيه الغريب بالاغراب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته . وأما قوله تعالى : كأنهم خشب مسندة . فقد شبهم بالخشب لأنه لاروح فيها وبالمسندة لأنه لا انتفاع بالخشب فى حال تسنيده . هذا ما قاله الزركشى فى هذه القاعدة وبعض الآيات التى ظاهرها خلاف هذه القاعدة . واكمالا للفائدة بينت افادة الزركشى من الزملكانى فى بيان التشبيه فى قوله تعالى : مثل نورة كمشكاة . ثم ذكرت تأثره بالزمخشرى فى الآيتين الاخيرتين .

القاعدة الخامسة :

كان موضوعها : دخول أداة التشبيه على المشبه به أو المشبه . فالامام الزركشى يرى أن الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به هو الكامل . وقد تدخل على المشبه لاسباب منها وضوح الحال وقصد المبالغة . وقد مثل الزركشى للسبب الأول بقوله تعالى : وليس الذكر

كالانثى وللسبب الثانى بقوله تعالى : قالوا انما البيع مثل الربا . وقوله تعالى : افمن يخلق كمن لا يخلق : افتجعل المسلمين كالمجرمين : أم تجعل المتقين كالفجار .

ولقد بينت فى هذه القاعدة افادة الزركشى من الزملكانى والسكاكى والزمخشرى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام .

القاعدة السادسة :

التشبيه فى المدح والذم .

فالتشبيه فى المدح يشبه فيه الأدنى بالأعلى . أما التشبيه فى الذم فيشبه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى ظاهر عليه فيشبه به فى السلب وقد مثل لهذه القاعدة ببعض الشواهد القرآنية .

أما القاعدة السابعة والاخيرة :

فكان موضوعها : دخول أداة التشبيه على لفظ وهو محذوف وذلك كقوله تعالى : مثل الذين كفروا كمثل الذى ينفق بما لا يسمع : فان التقدير : ومثل واعظ الذين كفروا : فالمشبه الواعظ والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام وهى لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه وانما وقع التشبيه على الغنم التى ينعق بها الراعى ويمد صوته اليها .

هذا ما قاله الامام الزركشى فى هذه القاعدة وقد بينت افادته من الشريف المرتضى فى بيان هذه القاعدة وتوضيح أمثلتها وبيان الاوجه الجائزة فى الآية الكريمة السابقة . كذلك تأثر بثعلب وغيره من العلماء الذين بينوا المحذوف فى قوله تعالى : كمثل ريح فيها صر ..

الآية : فبعض العلماء يرى أن فيها اضمارا : أى مثـــل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح ٠

أما ثعلب رحمه الله فقـــد رأى أن فى الآية تقديما وتأخيرا ٠ أى كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم اصابته ريح فيها صر فأهلكته ٠

وبعـــد :

فهذه رحلة قصـــيرة ممتعة مع عالم جليل مجتهـد بينت فيها آراءه فى مبحث التشبيه ووازنت بين هـــذه الآراء وما قاله الســـابقون مثـل الزملكانى وابن القيم والزمخشرى والسكاكى والخطيب القزوينى وغيرهم من العلماء الاجلاء ٠

وختاما ارجو من الله عز وجل أن يوفقنى ويســـدد خطاى ويعصمنى من الزلل والخطأ والنسيان ٠

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

د٠ عبد الحميد احمد محمد على
المدينة المنورة
فى شعبان ١٤٠٤ هـ

« التعريف بالامام بدر الدين محمد الرزكشى »★

اســـمه :

هو الامام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهـادر بن عبد الله المصرى الزركشى الشـــافعى أحد العلماء الذين سطح نجمهم فى القرن الثـامن الهجرى · وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد ·

مولـده :

لقد اتفق الذين ترجموا له على أنه ولد بالقـــاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ٧٤٥ هـ ولقـد طلب العلم منـذ صغره وكانت القـاهرة آنـذاك مغمورة بالمدارس حافلة برجال العلم والأدب · زاخرة بدور الكتب الخاصة والعامة · ولم يكد يبلـغ سن طلب العلم حتى انتظم فى حلقـات الدروس وظهـر نبوغـه فى كثير من العـــلوم والفنون يشـــهد لذلك كثرة مؤلفاته وتنوعها فى فروع مختلفة من العلوم والفنون ·

رحلاته وطلبه للعلم :

كان الامام الزركشى شـغوفا بالعلم محبا للعلمـاء وكان من هؤلاء العلماء الذين لازمهم مدة طويلة الشيخ جمال الدين الاسنوى رئيس الشـــافعية بالديار المصرية وكان الاســـنوى بدر العلماء الزاهـــر وكوكبهم المتألق

★ راجع فى ترجمة الامام بدر الدين الزركشى :
(١) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب (٦ : ٣٣٥) ·
(٢) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة (١ : ٤٣٧) ·
(٣) اعلام الساجد باحكام المساجد (٨ ، ٩ ، ١٠) · ·
(٤) مقدمة البرهان فى علوم القرآن (١ : من ٥ الى ١٤) ·

واستاذ الحديث بالمدرسة الكاملية آنذاك فلزمه الزركشى ونهل من علمه وافاد منـــه ولذلك نجده قد تفقه بمذهب الشافعى وحفظ كتاب المنهاج للامام النووى وصار يعرف بالمنهاجى نسبة الى هذا الكتاب ٠

كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقين والحافظ مغلطاى وغيرهما من شيوخ مصر وعلمائها ٠

ثم سمع عن الشيخ شـــهاب الدين الاذرعى بحلب والحافظ بن كثير بدمشق فشد اليهما الرحال ٠ سافر الى حلب أولا حيث تفقه على الاذرعى وأخذ عنه علم الأصول ثم بعد ذلك ســـافر الى دمشـــق حيث أخذ الحديث عن الحافظ بن كثير ثم رجع الى القاهرة بعد أن جمع اشتات العلوم واحاط بالأصول والفروع وعرف الغامض والواضح ووعى الغريب والنـــادر أضف الى ذلك ما كان يتميز به من ذكاء وفطنة وثقافة شاملة وذوق ناقد وحس بصير كل ذلك أهلـــه للفتيـــا والتدريس والتوفر على الجميـــع والتصيف واجتمع له من المؤلفات فى عمره القصير ما لم يجتمع لغيره من أفذاذ العلماء وجهابذتهم ٠

هذا ومما أعان الامام الزركشى على اكمال شخصيته العلمية شـغفه بالـكتب وفراغ باله من شـواغل العيش واكتفاؤه بالقليل من القوت فلقد ذكر مترجموه أنه كان منقطعا فى منزله لا يتردد الى أحد الا الى سـوق الكتب ولقد حكى تلميذه شمس الدين البرماوى أنه كان منقطعا الى الاشتغال بالعلم لا يشـــتغل عنه بشىء وله أقارب يكفونه أمر دنياه ٠ لهذا نجـــده قد اخلص للعلم ووهب نفســه اليه وانقطع له فوفقه الله الى أن يسلك ســـبيل التاليف فسلكه متزودا اليه بخبرة واســعة ودراية عالية فأسهم فى بناء الثقافة الاسلامية وألف فى أكثر فروعها وسوف يبدو ذلك واضحا عند حديثنا عن مؤلفاته ٠

أخلاقـه :

كان ـ رحمه الله ـ رضى الخلق . محمود الخصال. عذب الشمائل . متواضعا . لينا . رقيقا . يلبس ما بلى من الثياب . ويرضى بالقليل من الزاد . فلا يشغله عن العلم شىء من مطالب الدنيا أو شـــئون الحياة . عاش للعلم وحده واخلص له ففتح الله له مغاليق أبواب العلم وجاء انتاجه وفيرا غزيرا . وتجلى فى انتاجه العلمى . صفاء الذهن ، وعمق الفـكرة ، ودقة التحقيق ، ووضوح الأسلوب ، واشراق الديباجة ، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم وفصيح العربية شعرها ونثرها .

منهجه فى التأليف :

من يقرأ كتابه : البرهان فى علوم القرآن : وكتابه: اعلام الساجد بأحكام المساجد : يستطيع ان يتبين سمات منهجه فى التأليف ويمكن ايجازها فيما يلى :

أولا :

يمتـــاز منهجه بالدقة والاحاطة والشـــمول فيلم بأطراف الموضوعات فى استقصاء عجيب وتغلب عليـه الذاتية العلمية وتلوح عليه امارات الاجتهاد لا التقليد .

ثانيـا :

حاول فى كل موضـــوع ـ يؤلف فيه ـ أن يؤرخ له ويحصى الكتب التى ألفت فيه ويشير الى العلماء الذين تدارسوه فأشبع الفصول . وجمع اشتات المسائل وضـم أقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء مع الاشـــارة الى آراء أرباب الفصاحة وأمراء البيان . وسادات القوافى .

ثالثا :

كانت لا ترهبه شهرة العلماء ولا القابهم فكان ينازل أعلام الحديث والفقه . يناقشهم ويجادلهم ويبادلهم الحجج والدلائل يميل غالبا الى الا يجاز والاختصار حتى فى راوية الاحاديث ويكتفى أحيانا منه بالاطراف ومواضع الادلة وهو مع ذلك محرر العبارة قليل الاستطراد يهجم على موضوعه دون مراوغة ولا احتيال شأن الواثق بعلمه وقدرته على التعبير عما يريد بأخصر عبارة وأوجز لفظ .

رابعا :

كان كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية . وكان يجمع آراء العلماء فى الآية القرآنية الواحدة مع الاشارة الى المصادر التى اخذ عنها أحيانا . وكان يكثر من هذه الالفاظ : قيل : فان قلت .. قلت . ويبدو أنه تأثر بالزمخشرى فى ذلك .

خامسا :

كان يتخير الاساليب التى تنضح عليها ثقافته اللغوية والأدبية ويرصعها بغرائب اللغة وفرائد الشعر فهو عالم من قلة العلماء الذين لم تختصم فى أذهانهم ملكات الفقه والأدب .

سادسا :

كان يقسم الموضوع الذى يبحثه الى أقسام وجزئيات فيتسنى له من ذلك أن يلم بأشتات الموضوع الماما كافيا فيبحثه بحثا مستقصيا متأنيا يجمع فيه كل

ما قيل حوله من آراء وأفكار علمية ناضجة ٠

سـابعا :

لقد اعتمد فى مؤلفاته على مصادر أصيلة لها قيمتها العلمية ووزنها الأدبى ولذلك اكتسبت مؤلفاته من تلك المصادر الأصيلة عمق الفكرة ، ودقة التحقيق ، واصابة الهدف دون التواء أو بعد عن جادة الصواب ٠

مصادره فى مبحث التشبيه :

لقد اعتمد الامام الزركشى فى مبحث التشبيه على مصادر كثيرة ومتنوعة من هذه المصادر ما يلى :

١ ـ القرآن الكريم ٠ فلقد أكثر من الآيات القرآنية وجعلها شواهد لما أتى به من القواعد فى مبحث التشبيه وتكاد تكون الآيات القرآنية هى الشاهد الوحيد فى هذا المبحث البلاغى ٠

٢ ـ الكشاف للزمخشرى ، والزمخشرى وكتابه غنيان عن التعريف ولقد انتفع الزركشى بما خطه الزمخشرى فى الكشاف واستشهد به فى مواطن كثيرة فى مبحث التشبيه ٠

٣ ـ جوهر الكنز لنجم الدين بن الاثير الحلبى ٠ وقد أفاد منه فى التعريف الثانى للتشبيه ٠٠

٤ ـ الكامل للمبرد ٠ وقد أفاد منه فى بيان أهمية التشبيه ٠

٥ ـ التبيان فى علم البيان للزملكانى ٠ لقد انتفع بهذا الكتاب وعلى الاخص فى مبحث الغرض من التشبيه ٠

٦ ـ الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيـان لابن القيم ـ وقد أفاد منه فى بيـــان الغرض الثانى فى التشبيه ٠

٧ ـ الاشـــارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز ـ للعز بن عبد السلام ـ أفاد منه فى المبحث الثالث وهو ـ التشبيه بين الحقيقة والمجاز ٠

٨ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى٠ أفاد منه فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة ٠

٩ ـ مفتاح العلوم للســكاكى : أفاد منه فى مراتب التشبيه والفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ ٠

١٠ ـ النكت فى اعجاز القرآن ٠ للرمانى ٠ أفاد منه فى تقسيم التشبيه الى خمسة أقسام باعتبار آخر ٠

١١ ـ ضوء الصباح على ترجيز المصـــباح لمحمد بن عبد الرحمن المراكشى الضرير ٠ لقد انتفع به وهو بصدد بيان مراتب التشبيه من حيث الابلغية وأشـــار الى أنه خالف صاحب المفتاح فى احدى مراتب التشبيه وهى ترك وجه الشـــبه وكونها أبلغ من ترك أداته العموم وجـــه الشبه ٠

١٢ ـ البرهان الـــكاشف عن اعجـــاز زالقـــرآن للزملكانى ٠ أفاد منه وهو بصدد بيان السر البلاغى فى دخول الأداة على المشـبه فى قوله تعالى : وليس الذكر كالانثى ٠

١٣ ـ آمالى المرتضى ـ للشريف المرتضى ٠ وقـــد

أفاد منه فى القاعدة السابعة وهى دخول أداة التشبيه على لفظ محذوف لامتناع ذلك كقوله تعـــالى · ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع · فان التقدير - ومثل واعظ الذين كفروا - فالمشبه الواعظ ··· الخ ·

هذه أهم المصادر التى اعتمد عليها الامام الزركشى فى مبحث التشبيه وهى مصادر أصيلة لها مكانتها البارزة بين المصـــادر العربية الأخرى ذات الجذور العميقة فى التراث العربى الأصيل ·

مؤلفـاته :

لقد تبين لنا فيما سبق أن الامام الزركشى آثر العزلة عن الناس وانقطع عنهم وكان لا يخرج من بيته الا لشراء بعض الـكتب أو الاطلاع عليهـــا لأن له أقارب يكلفونه شئون العيش وأمور الحيـاة فأعانه ذلك على أن يتفرغ للتأليف وهذه بعض مؤلفاته :

١ - اعلام الساجد بأحكام المساجد ·

يوجد منه نســـخة خطية بمكتبة الجـــامع المقدس بصـنعاء كتبت ســـنة ٧٩١ وعنها نسخة مصـــورة على الميكروفلم بدار الـــكتب المصرية · وقد حققه الاســـتاذ أبو الوفا المراغى بمعونة لجنة احيـــاء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية سنة ١٣٨٤ هـ ·

٢ - الاجابة لايراد ما اســـتدركته عائشـــة على الصحابة ·

٣ - البحر المحيط فى أصول الفقه ·

يوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ·

٤ - تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعى المسمى بكتاب - فتح العزيز على كتاب الوجيز : ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة وصاحب كشف الظنون وسماه الزركشى فى كتاب الاجابة : الذهب الابريز فى تخريج أحاديث فتح العزيز ٠

٥ - تفسير القرآن ٠

قال عنه السيوطى فى حسن المحاضرة ٠ انه وصل الى سورة مريم - وكذلك أورده صاحب كشف الظنون ٠

٦ - تكملة شرح المنهاج للامام النووى ٠

ذكره الأسدى فى الطبقات وابن العماد فى الشذرات وصاحب كشف الظنون ويوجد منه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق (الجزء الثالث) برقم ٣٤٥ - فقه الشافعى ٠

٧ - التفتيح لالفاظ الجامع الصحيح ٠

طبع بمصر بالمطبعة العصرية سنة ١٩٣٣ م ويوجد منه نسخ خطية بدار الكتب المصرية بأرقام مختلفة ٠

٨ - خبايا الزوايا فى الفروع ٠

ذكره صاحب كشف الظنون وقال : ذكر فيه ما ذكره الرافعى والنووى فى غير مظنته من الأبواب فرد كل شكل الى شكله وكل فرع الى أصله واستدرك عليه عز الدين حمزة بن احمد الحسينى الدمشقى ٠٠ وسماه بقايا الجنايا ٠ ولبدر الدين أبى السعادات محمد البلقينى حاشية عليه ومنه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية برقم ٣٠٧ - فقه ٠

٩ - شرح التنبيه للشيرازى ٠

ذكره السيوطى وصاحب كشف الظنون ومنه نسخة خطية فى مكتبة برلين برقم ٤٤٦٦ ٠

١٠ - شرح الوجيز فى الفروع للغزالى ٠

يوجد منه نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٢٣٩٢ ٠

١١ - عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خكلان ٠

يوجد منه نسخة خطية فى خزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٠

١٢ - فتاوى الزركشى ٠

ذكره صاحب كشف الظنون ٠

١٣ - مجموعة الزركشى - فى فقه الشافعى ٠

منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٣ - فقه شافعى ٠

١٤ - المعتبر فى تخريج أحاديث المنهاج والمختصر٠

منه نسخة خطية فى المكتبة التيمورية برقم ١٥٤ - حديث ٠ ويوجد منه نسخة خطية أخرى فى دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ١١١٥ - حديث ٠

١٥ - القواعد فى الفروع ٠

ذكره صـــاحب كشف الظنون وقال : رتبهـــا على حروف المعجم وشرحها سراج الدين العبادى فى مجلدين واختصر الشيخ عبد الوهاب الأصل . كما ذكر فى متنه. ويوجد منه نســـختان خطيتان فى دار الكتب المصرية برقمى ٨٥٣ ، ١١٠٣ ـ فقه شافعى .

١٦ ـ اللالىء المنثورة فى الأحاديث المشهورة .

أورده برو كلمان فى الذيل وذكره صـــاحب كشف الظنون غفلا من اسم المؤلف .

منه نســـخة خطية بمكتبة توبنجن بألمانيا وعنهـا نسخة مصورة بالميكروفيلم فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وذكر صـــاحب كشف اظنون أنه مختصر ثلاثة أبواب : الباب الأول فى مدلول السفر والثانى فى ما يتعلق عند السفر والثانى فى الآداب المتعلقة بالسفر.

١٨ ـ لفظة العجلان وبلة الظمآن فى أصـــول الفقه والحكمة والمنطق .

طبع بمصر ١٣٢٦ هـ مع تعليقات للشيخ جمال الدين القاسمى . وطبع مرة أخرى بدمشق . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٣ ـ أصول .

١٩ ـ ما لا يسع المكلف جهله .

منه نســـخة خطية بمـــكتبة الاوسكريال بمدريد برقم ٧٠٧ .

٢٠ ـ النكت على عمدة الأحكام .

ذكره ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى .

٢١ ـ شرح البخارى ٠

ذكره السيوطى وكذا ابن حجر وقال : شرع فى شرح البخارح وترك مودة وقفت على بعضها ، ولخص منهـا كتاب التنقيح فى مجلد ٠

٢٢ ـ شرح الاربعين النووية ٠

ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة ٠

٢٣ ـ سلاسل الذهب فى الأصول ٠

منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٠٩٥ ـ ب كتبت فى عصر المؤلف ٠

٢٤ ـ الديباج فى توضيح المنهاج ٠

ذكره السيوطى وصـــاحب كشف الظنون وهو غير تكملة شرح المنهاج ٠ ومنه نسختان بدار الكتب المصرية برقمى ١٠٢ ، ١١٣٧ فقه الشافعى ٠

٢٥ ـ رسالة فى كلمات التوحيد ٠

منها نسخة بمكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ٨٧ ـ فنون متنوعة ٠

٢٦ ـ خادم الرافعى والروضة فى الفروع ٠

ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة والســـيوطى فى حسن المحاضرة وابن العماد فى الشذرات ٠ ومنه نسخة خطية نفيسة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٦٠٢ ـ ب تقع فى خمسة عشر مجلدا ٠

٢٧ - البرهان فى علوم القرآن (١) ٠

يعتبر هذا الكتاب من : انفس الكتب التى ألفها الامام الزركشى وكان هذا الكتاب غير معروف لدى الباحثين والدارسين عدا قلة من المشعوفين بمعرفة النوادرر ورواد المكتبات حتى دلنا عليه الامام جلال الدين السيوطى فى مقدمة كتابه الاتقان فى علوم القرآن فعده أصلا من الأصول التى رجع اليها وأفاد منها وظل هذا الكتاب مخطوطاا الى أن جاء العالم الجليل الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم فحققه فى أربعة أجزاء : أما عن المنهج الذى اتبعه المؤلف فيه فقد بدأه بمقدمة وفصلين الفصل الأول فى علم التفسير والثانى فى علوم القرآن٠ وفى المقدمة أشار الى ان علوم القرآن لا تنحصر ومعانيه لا تستقصى ولذلك استخار الله عز وجل فى وضع كتاب جامع لما تكلم الناس فى فنونه وخاضوا فى نكته وعيونه وضمنه من المعانى الانيقة والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربا ويبهر العقول عجبا ليكون مفتاحا لأبوابه وعنوانا على كتابه ٠ معينا للمفسر على حقائقه ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه ٠ وسماه البرهان فى علوم القرآن : وقسمه الى سبعة وأربعين نوعا ، بدأه بالنوع الأول فى معرفة أسباب النزول وختمة بالنوع السابع والاربعين فى معررفة الادوات ٠ وكل نوع من هذه الانواع يدور على موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه حاول فيه المؤلف أن يجمع اشتات المسائل ويؤرخ لها ويجمع آراء السلف والخلف فيها فضم أقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء والأدباء والبلغاء والاصوليين وغيرهم من جهابذة القول والبيان ٠ ولقد شاء الله أن يخرج هذا

---

(١) راجع مؤلفاته فى :

١ - حسن المحاضرة (١ : ٤٣٧) ٠

٢ - شذرات الذهب (٦ : ٣٣٥) ٠

٣ - مقدمة البرهان فى علوم القرآن (١ : من ٧ الى ١٣) ٠

الكتاب فريدا فى فنه شريفا فى اغراضه . مع سداد المنهج . وعذوبة المورد وغزارة المادة . بعيدا عن التعمية واللبس نائيا عن الحشود والفضول (١) .

وفاته :

وبعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد والتضيف والتأليف توفى الامام بدر الدين الزركشى فى يوم الأحد الثالث من رجب سنة اربع وتسعين وسبعمائة (٧٩٤ هـ) ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكتمر الساقى.

رحم الله الامام الزركشى واجزل ثوابه بقدر ما قدم للقرآن وعلومه من دراسات نافعة أفاد منها المشتغلون بالدراسات القرآنية فى مختلف العصور والازمان .

---

(١) راجع البرهان فى علوم القرآن (١ : ١٤ ، ومن ٣ الى ٢٢)

مباحث التشبيه عند الامام بدر الدين الزركشى ٠

المبحث الأول

تمهيـــد :

قبل أن يذكر الامام الزركشى مباحث التشبيه أشار الى أن الأدباء قد اتفقوا ـ على شرفه فى أنواع البلاغة ؛ وأنه اذا جاء فى أعقاب المعانى أفادها كمالا وكســـاها حلة وجمالا ٠

هذا ما قاله الزركشى فى أهمية التشـبيه وبيـان فضله وأظن ـ والله أعلم أنه قد تلفت للخطيب القزوينى وهو يبين فضل التشبيه وسموه بالأساليب حيث قال : واذا قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدرة وفخامة أمره فى فن البلاغة وأن تعقيب المعـانى به ـ لاسـيما قسم التمثيل منه ـ يضاعف قواها فى تحريك النفوس الى المقصـود بها مدحا كانت أوذما أو افتخار أو غير ذلك (١) ٠

لعل فى هـذا النص ما يشير الى أن الامام الزركشى قد أفاد منه وهو يبين فضل التشبيه ٠

ثم بعـد أن بين أهمية التشـبيه نقل عن المبرد فى الكامل قوله ٠ هو « أى التشـبيه » جار فى كلام العرب حتى لو قال قائل : هـو أكثر كلامهم لم يبعـد (٢) ٠ ثم

---

(١) الايضاح فى علوم البلاغة (٢ : ٢١٤) ٠

(٢) راجع الكامل للمبرد (٢ : ٢٦٩ ونص عبارته : « والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد »

ذكر أن أبا القـــاسم بن البندارى البغدادى صـــنف فيه كتاب : « الجمان فى تشبيهات القرآن » (١) .

تعريف التشبيه :

لقـد ذكر الامام الزركشى فى المبحث الأول (٢) . للتشبيه ثلاثة تعريفات :

التعريف الأول له وهو : الحاق شىء بذى وصـــف فى وصفه .

ومن يمعن النظر فى هـذا التعريف يدرك أنه غير جامع لأفراد المعرف . فالشىء الأول : المشـــبه - وبذى وصف - المشبه به - فى وصفه - وجه الشـــبه فهذه ثلاثة أركان فقط أما الركن الرابع وهو أداة التشبيه فلم يشر اليها هذا التعريف لا من قريب ولا من بعيد .

أما التعريف الثانى فقد ذكره بقوله وقيل : أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به .
هذا التعريف تبين لى بعـد البحث أنه لنجم الدين

---

(١) مؤلفه أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن داود بن ناقيا - ونقيـا بالكسر قرية بالأنبار منهـا يحيى بن معين و - بانقيا - قرية بالكوفة - وله من المؤلفات - شرح الفصيح ومختصر الأغانى والمقامات وديوان شعر وديوان رسائل والجمان فى تشبيهات القرآن . وقد حققه د. مصطفى الجوينى . وبعد وفاة ابن ناقيا البغدادى وجد فى يده هذان البيتان :

نزلت بجـار لا يخيب ضيفـه ... أرجى نجاتى من عـذاب جهنم
وانى على خوف من الله واثق ... بانعامـــه فاللـــه اكرم منعم

ودفن بباب الشام ببغداد « راجع مقدمة الجمان فى تشـبيهات القرآن » تحقيق د. الجوينى .

(٢) راجـع المبحث الأول فى البرهان فى علوم القـرآن (٣ : ٤١٤) .

أحمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبى صاحب جوهر الكنز ولتستمع اليه وهو يعرف التشبيه بقوله : حد التشبيه أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به قصدا للمبالغة (١) :

وقد ذكر أيضا هذا التعريف إبن القيم قائلا : فقال قوم ٠ حده « أى التشبيه » أن يثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به (٢) ٠ ـ وكان يشير بقوله « فقال قوم » الى صاحب جوهر الكنز كما سبق بيانه ٠

ونلاحظ على هذا التعريف أيضا أنه لم يتناول جميع أفراد المعرف فقد ذكر المشبه والمشبه به ـ وحكم المشبه به ـ وهو وجه الشبه ٠ ولكنه لم يشر الى أداة التشبيه وهى الركن الرابع ٠

هذا هو التعريف الثانى وبيان عدم شمولة لجميع الاركان وبيان مصدره ٠

أما التعريف الثالث فقد ذكره الامام الزركشى بقوله : وقيل الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشىء الواحد ٠ كالطيب فى المسك والضياء فى الشمس والنور فى القمر ٠

هذا التعريف أيضا تبين لى أنه للمطرزى وقد بين الامام العلوم صاحب الطراز فساد هذا التعريف فقال : بعد تقل هذا التعريف عن المطرزى : وهذا فاسد لأمرين

أما أولا : فلانه ان أراد بالدلالة حقيقتها فالشىء

---

(١) جوهر الكنز (٦٠) ٠
(٢) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان (٥٥) ٠

لا يدل على نفسه ومن حق الدليل أن يكون مغايرا لمدلوله . وان أراد بلفظ الدلالة أن من عرف الحد عرف لامحالة المحدود فهذا جيد لكن لفظ الدلالة يوهم الخطأ من جهة المغايرة فيجب اطراحها .

وأما ثانيا : فلأنه لم يفصل بين التشبيه الوارد على جهة الاستعارة كقولك جاءنى الأسد ورأيت بحرا وبين التشبيه الصريح كقولنا زيد كالأسد وعمر وكالسيف وغير ذلك وكلاهما معدود من باب التشبيه والغرض هنا هو المظهر الأداة فكان من حقه فصله عما ذكرناه بذكر الأداة لأنه هو المقصود بذكر هذه القاعدة (١) .

ومادام التعريف الأول الذى ذكره الامام الزركشى لم يشمل جميع أفراد المعرف والتعريف الثانى أيضا ليس فيه دلالة على أداة التشبيه والتعريف الثالث بين فسادة الامام يحى العلوى صاحب الطراز فانى أرى أن يكون تعريف التشبيه بما يأتى :

التشبيه لغة التمثيل . وزنا ومعنى . فالشبه بالكسر والتحريك . المثل جمعة اشباه وشابهه واشبهه ماثلة وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وشبهه اياه وبه تشبيها مثله (٢) . فالمادة تدور حول المماثلة فالتشبيه والتمثيل لفظان مترادفان وزنا ومعنى .

هذا وقد تقل الامام الزركشى عن الزمخشرى ما يفيد هذا الترادف بين اللفظتين . قال : الزمخشرى:

---

(١) الطراز (١ : ٢٦٢) .

(٢) راجع القاموس المحيط (٤ : ٢٨٦) والصحاح (٦ : ٢٢٣٦).

المثل فى الأصـــل بمعنى المثل أى النظير يقال ٠ مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه (٢) ٠

أما التشبيه فى اصطلاع البلاغيين فانى اختـار من تعريفاتهم المتنوعة تعريف صاحب الطراز للتشـبيه وهو : الجمع بين الشيئين أو الاشياء بمعنى ما بواسـطة الكاف ونحوها ٠٠ فقولنا ٠ هو الجمع بين الشيئين ٠ يدخل فيه التشبيه المفرد كقولك زيد كالأسد « أو الأشـــياء » ليدخل فيه التشبيه المركب على أوصـــافه ومراتبه ٠٠ وقولنـــا « بمعنى ما » عام لجميع الاوصاف كلها العقلية والحسـية المفردة والمركبة ٠ وقولنا « بواسطة الكاف » يخرج العطف لأنه جمع بين الشيئين أو الأشياء لكن بغير الكاف ويخرج عنه مضمر الأداة كقولنا : زيد أسد : فانه ليس من التشبيه الذى أردناه فى هـــذه القـــاعدة وانمـــا هو معدود فى الاستعارة (٣) ٠

فهذا التعريف الذى ذكره الامام يحيى العلوى جامع لجميع فراد المعرف مانع لدخول غير أفراده فيـه بخلاف التعريفات الثلاثة التى ذكرها الامام الزركشى فانها غير كاملة ٠

التشبيه حكم اضافى لا يرد الا بين الشيئين ٠

بعد أن عـــرف الامام الزركشى التشـــبيه بتلك التعريفات الثلاثة بين أن التشبيه حكم اضـــافى لا يرد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة ٠ ولم يشرح ما يريـد بهذه العبـارة بل اكتفى بهذا القول فقط ٠ ولقـــد تولى شرح هذه العبـارة قبلة الامام ابن القيم رحمه الله وهو

---

(١) البرهان فى علوم القرآن (١ : ٤٩٠) ٠
(٢) الطراز (١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤) ٠

بصدد بيان الفرق بين الاستعارة والتشبيه . قال : ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيئان وفرق الحذاق وقالوا : ان التشبيه حكم اضافى لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت اسدا - فهو استعارة لم تذكر شيئا حتى تشبه بالاسد ولو كان تشبيها لتعين أن تقول زيد اسدا وزيد كالاسد ولم يكن غرضك فى قولك زيد اسد الا المبالغة فى مدح زيد بالشجاعة (١) .

هذا هو المبحث الأول فى التشبيه عند الامام الزركشى وقد ذكر فيه أن الأدباء اتفقوا على شرفه فى أنواع البلاغة واذا جاء فى أعقاب المعانى أفادها كمالا وكساها حلة الجمالا ثم نقل عن المبرد فى الكامل قوله المأثور وأشار الى أن ابن ناقيا البغدادى ألف كتابا فى التشبيه هو : الجمان فى تشبيهات القرآن ثم انتقل بعد ذلك الى تعريفه وعرفه بثلاثة تعريفات ، الأول له وقد جاء غير جامع لأفراد المعرف ، والثانى نقله عن صاحب جوهر الكنز وقد جاء غير جامع أيضا لأفراد المعرف ، أما التعريف الثالث فكان للمطرزى وقد بين فساده الامام العلوى صاحب الطراز ولذلك اخترت تعريفا رابعا للتشبيه جاء جامعا مانعا كما يقول بذلك أصحاب الحدود والتعريفات ثم بعد أن انتهى من تلك التعريفات بين أن التشبيه حكم اضافى لا يرد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة وقد تولى شرح هذه العبارة قبله الامام ابن القيم رحمه الله وهو بصدد بيان الفرق بين الاستعارة والتشبيه (٢) .

---

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان (٦٥ ، ٦٦) .

(٢) راجع المبحث الأول فى التشبيه فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٤) .

المبحث الثانى

« الغرض من التشبيه »

لقد ذكر الامام الزركشى فى هذا المبحث غرضين فقط من أغراض التشبيه :

الأول :

هـو تأنيس النفس باخراجهـا من خـفى الى جـلى بادنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا .

الثـانى :

ذكره بقوله : وقيل الكشـف عن المعنى المقصود مع الاختصار فانك اذا قلت زيد أسد كان الغرض بيان حال زيد وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك الا أننا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلنا اياه شبيها بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا : زيد شهم شجاع قوى البطش ونحوه (١) .

افادة الزركشـى من الزملـكانى والخطيب القزينى فى الغرض الأول :

لو وازنا بين ما قاله الامام الزركشـى فى الغـرض الأول وبين ما قاله الشـيخ كمـال الدين الزمكلانى فى التبيان لأدركنا أنه قد أفاد منه وتأثر به : قال الزمكلانى : الفن الخامس . فى التمثيل : هذا ركن من أركان البلاغة

---

(١) راجع المبحث الثانى « الغرض من التشبيه » فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٥) .

لاخراجه الخفى الى الجلى وادنائه البعيد من القريب (١)٠

ففى هـــذا النص دلالة واضحـــة على تأثر الزركشى بالزمكلانى وافادته منه ٠

كذلك لو وازنا بـين ما قاله الزركشـى فى الغـرض الأول وبين ما قاله الخطيب فى أسباب جمال التشـبيه عامـة والتمثيل خاصـة لأدركنا أنه قد أفاد منـه ٠ قال الخطيب : منها : ما يحصل للنفس من الأنس باخراجها من خفى الى جلى كالانتقال مما يحصل لها بالفـكرة الى ما يعلم بالفطرة أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته(٢)

فى هـذا النص دلالة واضحـة على تأثره بالخطيب القزوينى ٠

ابن القيم صاحب الغرض الثانى للتشبيه :

ذكر الامام الزركشى غرضين للتشـبيه ، الأول تأثر فيـه بالزمكلانى والخطيب القزوينى ، والثـانى صـدره بقوله : وقيل الكشف عن المعنى المقصود الخ ٠

ولقد تبين لى أن صاحب هذا الغرض والذى قاله هو ابن القيم رحمه الله ولتستمع اليه وهو يوضح لنا الغرض من التشبيه ٠

قال ابن القيم : فالغرض بالتشـبيه وفائدته الكشـف

---

(١) التبيان فى علم البيان (١٠٨) ٠
(٢) الايضاح (٢ : ٢١٦) ٠

عن المعنى المقصود ما يكتسب من فضيلة الا يجاز والاختصار والدليل على ذلك قولنا - زيد أسد - فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى الا أنا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلناه شبيها بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصداناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرىء الجنان وأشباه ذلك (١) .

هذان هما الغرضان اللذان ذكرهما الامام الزركشى للتشبيه على وجه الاجمال والا فللتشبيه أغراض كثيرة على جهة التفصيل منها ما يعود على المشبه وهى كثيرة ومنها ما يعود على المشبه به واليك بعض هذه الأغراض :

أولا : الأغراض التى تعود على المشبه :

١ - بيان حال المشبه . وذلك عندما تكون صفة المشبه مجهولة فيؤتى بالتشبيه لمعرفة حاله وذلك مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل الا طيبا ولا تطعم الا طيبا .

ومن بيان حال المشبه قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

فان الانسان يرى كثيرا من العناب والحشف البالى

---

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان (٥٤،٥٥) .

أما رؤية قلوب الطير رطبة ويابسة فان ذلك لا يقع الا فى الأقل النـادر ولذلك كان الغرض من التشـبيه ببال حال المشبه ٠

٢ ـ بيـان مقـدار حال المشـبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان وذلك مثل قول عنترة يصف ركائب أحبابه الراحلين :

فيهـا اثنتان وأربعـون حـلوبة
سـودا كخافية الغـراب الأسحم

فقد وصف النوق بالسواد ثم بين مقدار هذا السواد بأنه كخافية الغراب الأسحم ، ومثله قول الشاعر :

مـداد مثـل خافيـة الغـراب
وقرطاس كرقواق السـحاب

فالمشبه فى هذا البيت معروف الصفة بوجه ما ولكن مقدار هذه الصفة مجهول فلذلك الحق بمشبه به معلوم المقدار فى الصفة المعروفة ٠

٣ ـ تقرير حال المشـبه فى نفس السـامع وذلك لتمكينه فى نفسـه وذلك مثل قوله تعـالى : واذا نتفنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ٠ فانه بين ما لم تجر به العـادة بما جرت به العادة ويكثر هذا النوع فى تشبيه المعنويات بالمحسوسـات مثل قولهم : التعليم فى الصغـر كالنقش على الحجر ٠

٤ ـ بيان امكان وجود المشبه وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه كما فى قول المتنبى :

فان تفق الأنام وأنت منهم
فان المسك بعض دم الغزال

أراد أنه فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة الى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الانسان وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل الى أن يصير كأنه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعيه الى اثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجىء الى اثبات وجوده فى الممدوح ، فقال : فان المسك بعض دم الغزال - أى ولا يعد فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد شىء منها فى الدم وخلوه من الأوصاف التى لها كان الدم فأبان أن لما ادعاه أصلا فى الوجود على الجملة .

شرط وجه الشبه فى الأغراض الأربعة السابقة :

يشترط فى وجه الشبه لتحقيق الأغراض السابقة وهى : بيان الحال والمقدار والتقرير ، وبيان الامكان : أن يكون وجه المشبه فى المشبه به أتم وهو به أشهر ولذلك عيب على الشاعر قوله وهو يرثى ميتين :

جرى الموت مجرى اللحم والدم منكما
كأن الذى يسقى العقار سقاكما

وذلك لأن السكون فى الميت أقوى منه فى السكران .

كذلك عيب على البحترى قوله :

على باب قنسرين والليل لاطخ
جوانبه من ظلمه بمداد

فانه رب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى ولهذا قال ابن الرومى :

حبر أبى حفص لعاب الليل
يسيل للاخوان أى سيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حيث شبهه بالليل ٠

٥ ـ تزيين المشبه وتحسينه : وذلك أن يشبه الشىء بما هو أحسن منه فى الاتصاف بالصفة ٠ وهذا ميدان رحب للشعراء وأرباب البيان فما أقدرهم على تحسين القبيح وابرازه فى صورة رائعة الجمال تهز النفوس وتأخذ الألباب ٠ وما أروع قول الشاعر فى تحسين صورة جارية سوداء وابرازها فى معرض الحسن والجمال :

رب سوداء وهى بيضاء معنى
نافس المسك فى اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه الناس
سوادا وانما هو نور

فقد برز هذه السوداء فى صورة حسنة هى صورة سواد العين يحسبه الناس سوادا وانما هو نور يمتع الناس بسحر الحياة وجمالها ٠

٦ ـ تقبيح المشبه وتشويهه ٠ وهذا الغرض ميدان فسيح للشعراء يطرقونه للهجاء والذم والتقبيح فهذا شاعر يهجو التين وهو ثمرة طيبة يلذ أكلها :

لا مرحبا بالتين لما أتى
يسحب كالليل عليه وشاح
ممزق الجلباب يحكى لنا
هامة زنجى عليه جراح

فالشاعر قبح لنـا صورة التين مع أنه فاكهة جميلة يلذ أكلها ويسحر منظرها ٠

وما أروع قول الشاعر وهو يقبح لنا صروة الأتقياء الأدعيـــاء الذين يقولون ما لا يفعلون يعجبـك قولهم ويسـحرك بيانهم وحين تعاملهم تخالهم ذئابا ضـــارية ووحوشا مفترسة ٠ يقول الشاعر فى هؤلاء :

وغير تقى يأمـر النـاس بالتقى
طبيب يداوى والطبيب مـريض

٧ ـ استطراف المشبه كما فى تشبيه فحم فيـه جمر موقد ببحر من إلمسك موجه الذهب ، وقد صاغ الشـاعر هذا المعنى فى قوله :

رأيت فحما سرى فيه اللهب حكى
بحرا من المسك ذا موج من الذهب

هـذه أهم الأغراض التى تعود على المشـــبه ، أما الأغراض التى تعود على المشبه به فيمكن اجمالها فيما يأتى :

١ ـ ايهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه وذلك فى التشبيه المقلوب ، مثل قول محمد بن وهيب يمدح الخليفة المأمون :

وبدا الصـــباح كأن غـرته
وجـــه الخليفة حين يمتـدح

فانه قصد ايهام أن وجـه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء ٠

٢ - بيان الاهتمام بالمشبه به وذلك مثل أن يشبه الجائع وجها جميلا كالبدر بالرغيف فى الاستدارة اهتماما بشأن الرغيف لا غير وهذا يسمى اظهار المطلوب (١) .

هذه هى أغراض التشبيه بالتفصيل منها ما يعود على المشبه ومنها ما يعود على المشبه به ، أما على جهة الاجمال فالغرض منه تأنيس النفس باخراجها من خفى الى جلى وادنائه البعيد من القريب ، كما قال بذلك الزركشى والشيخ عبد الكريم أو الغرض منه الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار كما قال بذلك ابن القيم رحمه الله ، وهذا هما ما يفيدهما التشبيه على جهة الاجمال والاختصار ، أما الأغراض التى يفيدها التشبيه على جهة التفصيل فهى تسعة أغراض كما ذكرتها مع الأمثلة الموضحة لها .

---

(١) راجع اغراض التشبيه فى الايضاح (٢ : من ٢٣٦ الى ٢٤١) ، وفى أسرار البيان (من ٣٦ الى ٤٥) .

المبحث الثالث

« خلاف العلماء فى التشبيه »

هل التشبيه حقيقة أو مجاز ؟

لقد ذكر الامام بدر الدين الزركشى فى هذا المبحث خلافف العلماء فى التشبيه وهل هو حقيقة أو مجاز ؟ · فالمحققون على أنه حقيقة · قال الزنجانى فى المعيار : التشبيه ليس من المجاز · لأنه معنى من المعانى وله ألفاظ تدل عليه وضعا · فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه وانما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له والذى يقع منه فى حيز المجاز عند البيانين هو الذى يجىء على حد الاستعارة ·

ثم بعد أن نقل رأى الزنجانى فى التشبيه أشار الى أن سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام قد توسط فى التشبيه فان كان بحرف « أى أداة » فهو حقيقة · أو بحذف الحرف فمجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز ·

هذا كل ما ذكره الامام الزركشى فى هذا المبحث الثالث (١) من مباحث التشبيه ولو ذكرنا عدد العلماء الذين أدلوا بدلوهم فى التشبيه ، وهل هو من وادى الحقيقة أو المجاز ؟ لتعذر حصرهم ، ولكنى أذكر بعضا منهم ·

من هؤلاء العلماء الامام يحى العلوى صاحب الطراز

---

(١) راجع المبحث الثالث فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٥) ·

لقد رأى أنه لا خلاف بين العلماء فى أن التشبيه من أودية البلاغة ، ولكن وقع النزاع هل يعد من أودية المجاز أم لا ؟ فالذى عليه النظار من علماء البلاغة وأهل التحقيق من علماء البيان أنه غير معدود فى المجاز وهو رأى الشيخ ناصر بن أبى المكارم المطرزى فى شرحه للحريريات وعن ابن الأثير أنه معدود من جملة المجاز .

ثم بعد أن نقل رأى المطرزى ورأى ابن الأثير رجح رأى ابن الأثير قائلا :

ويمكن الانتصار له « أى ابن الأثير » على المطرزى بأمرين : أما أولا فلأنه عد الكناية من أودية المجاز والتشبيه أقرب منها اليه . وأما ثانيا : فلأن مضمر الأداة من التشبيه معدود فى الاستعارة وقد إعترف بها فاذن لا وجه لانكار التشبيه أن يكون معدودا من أودية المجاز والعجب منه فى قبول الكناية وعدها من المجازات وانكار ما ذكرناه من التشبيه مع أن الكناية دالة على موضوعها الأصلى فى اللغة (١) .

اذا فالامام العلوى قد ارتضى رأى ابن الأثير فى التشبيه وهو أنه معدود من جملة المجاز ولذلك رجحه على رأى المطرزى القائل بأنه ليس منه .

واذا إنتقلنا الى ابن القيم نجده قد أدلى بدلوه فى هذا الموضوع ، فقال : فالذى عليه جمهور هل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه . وذهب المحققون من متاخرى علماء هذه الصناعة وحذاقها الى أن التشبيه ليس من المجاز لأنه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه

---

(١) راجع الطراز (١ : ٢٦٠ ، ٢٦١) .

وضعا ... فاذا قلت زيد كالأسد وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة وله رأى كالسيف فى المضاء لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازا (١) .

اذا فابن القيم يرى أن فى التشبيه مذهبين :

الأول :

لجمهور أهل هذه الصناعة وهو أن التشبيه من أنواع المجاز وهذا الرأى لابن الأثير الجزرى صاحب المثل السائر الذى رجحه العلوى على المطرزى ، ولنستمع الى ابن الأثير وهو يوضح رأيه قائلا : والذى انكشف لى بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين توسع فى الكلام وتشبيه . والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف . فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به ، والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به ويسمى استعارة لاشتراكهما فى المعنى (٢) .

الثانى :

للمحققين من متأخرى علماء هذه الصناعة وهو أن التشبيه ليس من المجاز لأنه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضعا .

وأظن ـ والله أعلم ـ أن هذا الرأى للامام فخر الدين الرازى ولنستمع اليه وهو يقرره قائلا : الباب الرابع فى التشبيه وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول : فى ن التشبيه ليس من المجاز لأنه

---

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان (٥٤) .
(٢) المثل السائر (٢ : ٧١) .

معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه فاذا صرح بذكر الألفاظ الدالة عليه وضعا كان الكلام حقيقة فاذا قلت زيد كالأسد وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة وله رأى كالسيف فى المضاء لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازا (١) ٠

وهذا الرأى أيضا هو أن التشبيه ليس من المجاز هو ما نقله الامام الزركشى عن الزنجانى فى المعيار ٠

كذلك أدلى بدلوه فى هذه القضية صاحب جوهر الكنز نجم الدين بن الأثير الحلبى ، قال : قال قوم ان التشبيه من باب الحقيقة والذى عليه جمهور علماء البيان أنه من باب المجاز وهو الأصح والله أعلم (٢) ٠

اذا فابن الأثير الحلبى يرجع أن يكون التشبيه من باب المجاز وهو ما رآه بن الأثير الجزرى صاحب المثل السائر وابن رشيق القيروانى حيث قال : وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين فى أكثر الأشياء انما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة (٣) ٠

وخلاصة هذا المبحث أن العلماء قد اختلفوا ٠ هل يكون التشبيه من وادى المجاز أو من وادى الحقيقة ؟

فابن الأثير الجزرى وابن الأثير الحلبى وابن رشيق القيروانى والعلوى صاحب الطراز هؤلاء العلماء يرون أن التشبيه من باب المجاز ٠

---

(١) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز (٧٧) ٠
(٢) جوهر الكنز (٦٠) ٠
(٣) العمدة (١ : ٢٦٨) ٠

أما الامام فخـر الدين الرازى فى نهاية الايجـــاز والزنجانى فى المعيــار والمطرزى فى شرحه للحريريات هؤلاء العلماء يرون أن التشبيه من باب الحقيقة ٠

أما سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فقد رأى أن التشبيه ان كان بأداة فهو من وادى الحقيقة وان كان بحذف الأداة فهو من باب المجاز بناء على أن الحذف عنده من المجاز (١) ٠٠ والله أعلم ٠

---

(١) راجع الاشارة الى الايجاز فى بعض انواع المجاز (٨٥) ٠

المبحث الرابع

أدوات التشبيه :

تعريف الأداة :

هى لفظ يدل على معنى التشبيه أى الحاق أحد الطرفين بالآخر فى صفة مشتركة بينهما .

أقسامها :

قسم الامام الزركشى أدوات التشبيه الى ثلاثة أقسام : أسماء ، وأفعال ، وحروف .

فالأسماء :

مثل وشبه ونحوهما . وقد مثل للأدوات الأسماء بقوله تعالى : (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) (١) ، وقوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى)(٢(، وقوله تعالى : (وأتوابه متشابها)(٣) وقوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا) (٤) .

هذا هو القسم الأول من أدوات التشبيه وهى الأسماء ولعل القارىء يلاحظ معى أن أداة التشبيه فى قوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى) : هى الكاف وهى حرف وليست اسما ، أما ـ مثل ـ الموجودة فى صدر

---

(١) سورة آل عمران : ١١٧ .
(٢) سورة هود : ٢٤ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥ .
(٤) سورة البقرة : ٧٠ .

الآية ، فهى مستعارة للحال لأن المثل يستعار للحال وللوصف وللقصة (١) فاستعارته للحال كالآية السابقة وكقوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا)(٢) : أى حالهم العجيب الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وأما استعارته للوصف ، فكقوله تعالى : (ولله المثل الأعلى) (٣) : أى الوصف الذى له شأن ، وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون) (٤) : أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها .

اذا فلفظ ـ مثل ـ فى قوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى) ـ ليست أداة تشبيه بل مستعارة للحال . أى حال الفريقين ـ وأداة التشبيه فى الآية هى الكاف وهى حرف وليست اسما فهذه الآية الكريمة يستشهد بها على النوع الثالث للأدوات وهى الحروف وليست الأسماء كما فعل ذلك الامام الرزكشى . كذلك استشهاده بالآية الكريمة : (ان البقر تشابه علينا) : ليس صحيحا لما يلى :

أولا :

ان الأداة هنا ـ هى ـ تشابه . وهى فعل وليست اسما وهو يستشهد للأدوات الأسماء .

ثانيا :

ان الفعل فى هذه الآية لا يفيد التشبيه ولا يدل عليه لأنه لازم واشترط البلاغيون فى الأفعال التى تدل على التشبيه أن تكون متعدية ـ لأن التشبيه يقتضى الحاق

---

(١) راجع البرهان فى علوم القرآن (١ : ٤٨٨ ، ٤٨٩) .
(٢) سورة البقرة : ١٧ .
(٣) سورة النحل : ٦٠ .
(٤) سورة الرعد : ٣٥ .

الأدنى فى وجه الشبه بالأعلى حقيقة أو ادعاء وانما تدل « أى الأفعال اللازمة » على وجود التشابه بين الشيئين المقتضى مساواة كل واحد منهما للآخر فى وجه الشبه... فاذا قلت : تشابه عمرو وبكر فى الكرم كان المعنى أنهما تساويا فيه وليس أحدهما أعلى منزلة من الآخر فى الكرم وليس الأمر كذلك اذا قلت عمر يشبه بكرا فى الكرم لأنه يعطى أن بكرا أعلى مرتبة فى الكرم من عمرو ولذا شبه به (١) .

اذا فالفعل - تشابه - فى قوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا) : يدل على التشابه وهو التساوى أو يكون بمعنى اختلط وكلا المعنيين لا يفيد معنى التشبيه فليس للآية الكريمة محل للاستشهاد بها فى النوع الأول من أدوات التشبيه وهى الأسماء . هذا هو النوع الأول من الأدوات . عند الامام الزركشى .

أما النوع الثانى وهى الأفعال فقد مثل لها بقوله تعالى : (يحسبه الظمآن ماء) (٢) ، وقوله تعالى : (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) (٣) .

أما الحروف :

وهى النوع الثالث فقد قسمها الى قسمين - بسيطة كالكاف نحو قوله تعالى : كرماد اشتدت به الريح (٤) . وقوله تعالى : كدأب آل فرعون (٥) . أو مركبة كقوله تعالى : كأنه رءوس الشياطين (٦) .

---

(١) الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان (٥٩) .
(٢) سورة النور : ٣٩ .
(٣) سورة طه : ٦٦ .
(٤) سوررة ابراهيم : ١٨ .
(٥) سورة آل عمران : ١١ .
(٦) سورة الصافات : ٦٥ .

هذا ما قاله الامام الزركشى فى أدوات التشبيه (١) ويلاحظ أنه قسم الحروف الى قسمين بسيطة كالكاف ومركبة - مثل - كأن - وقد مثل لهما بأمثلة من القرآن الكريم ولكنه لم يذكر الفروق بين الكاف وكأن فى هذا المبحث بل ذكر بعضها متفرقة وهأنذا أذكر تلك الفروق.

الفرق بين الكاف - و - كأن .

أولا :

الكاف تفيد المشابهة فى جميع استعمالاتها - أما كأن - فانها تفيد المشابهة غالبا اذا كان خبرها جامدا . كقولك . كأن النجوم مصابيح - فاذا كان خبرها مشتقا فالأرجح أنها لا تفيد المشابهة وانما تفيد الظن بوقوع الخبر الذى بعدها كقولك كأن السماء ممطرة .

ثانيا :

كأن أقوى وأبلغ فى الدلالة على التشبيه من الكاف لأنها مركبة من الكاف وأن المفيدة للتحقيق والتأكيد ولذلك قالت بلقيس كأنه هو . فاستعملت كأن ولم تستعمل الكاف . فكأن تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به لا غير (٢)

ثالثا :

الأصل فى الكاف وما شاكلها من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به اما لفظا كقولك - ليل كموج

---

(١) راجع المبحث الرابع فى ادوات التشبيه فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٦ .

(٢) محاضرات فى البيان العربى : ٩٦ .

البحر - أكفهم مثل السحاب .. واما تقديرا ، كما فى قول الله تعالى : أو كصيب من السماء (١) .. تقديره كمثل ذوى صيب .

أما الأصل فى كأن فانه يليها المشبه مثل قوله تعالى : كأنهن الياقوت والمرجان (٢) . فالمشبه ضمير النسوة وقد ولى أداة التشبيه - كأن - وقد تدخل الكاف فى التشبيهات المركبة على مفرد لا يتأتى التشبيه به وكان له اتصال وثيق بالمشبه به كقوله تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ، كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروة الرياح (٣) .

فالمشبه فى هذه الآية هو حال الحياة الدنيا وما فيها من زخرف وزينة يعقبهما فناء وهلال . والمشبه به هو حال النبات الذى سقته السماء بمائها فاخضر ثم عصفت به الريح السموم فجف ويبس وتفرقت ذراته مع الريح كأن لم يكن شيئا .. والكاف هنا لم تدخل على المشبه به وهو النبات وانما دخلت على لفظ الماء باعتباره عنصرا مهما فى تكوين النبات واروائه (٤) .

هذه أهم الفروق بين الكاف وكأن وقد ذكر بعضها الامام الزركشى وذلك حينما قسم التشبيه الى قسمين بأداة وبغير أداة والذى يكون بأداة اما أن يدخل عليه حرف التشبيه فقط كقوله تعالى : مثل نوره كمشكاة (٥) وأما أن يضاف الى حرف التشبيه حرف مؤكد ليكون ذلك

---

(١) سورة البقرة : ١٩ .
(٢) سورة الرحمن : ٥٨ .
(٣) سوررة الكهف : ٤٥ .
(٤) راجع الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان (٥٩ ، ٦٠ ، ٦١) .
(٥) سورة النور : ٣٥ .

علما قوة التشبيه وتأكيدة لقوله تعالى : كأنهن الياقوت والمرجان (١) . ثم ذكر بعض الآيات التى وردت فيها - كأن - وأفادت التشبيه والتأكيد والتقوية (٢) . وهذا هو الفرق الثانى بينهما وهو أن - كأن أقوى فى الدلالة على التشبيه من الكاف .

كذلك أشار الى أن أداة التشبيه قد تدخل على مشبه به فقال : قد تدخل الأداة على شىء وليس هو عين المشبه ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب ، كما فى قوله تعالى : كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم (٣) . التقدير كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى اذ قالوا (٤) .

كذلك بين ان الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به وهو الكامل كقولك ليس الفضة كالذهب .. وقد تدخل على المشبه لأسباب منها وضوح الحال كقوله تعالى : وليس الذكر كالأنثى (٥) . ومنها قصد المبالغة . كقوله تعالى : انما البيع مثل الربا (٦) .

وهذا هو الفرق الثالث بينهما (٧) . وهو أن الأصل فى الكاب وماشاكلها من الاسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به أما لفظا أو تقديرا .. الخ .

أما الفرق الأول وهو أن الكاف تفيد المشابهة فى

---

(١) سورة الرحمن : ٥٤ .
(٢) راجع البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٦ ، ٤١٧) .
(٣) سورة الصف : ١٤ .
(٤) راجع البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٥) .
(٥) سورة آل عمران : ٣٦ .
(٦) سورة البقرة : ٢٧٥ .
(٧) راجع البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٦) .

جميع استعمالاتها وكأن تفيد المشـــابهة غالبا اذا كان خبرها جامدا وتفيد الظن بوقوع الخبر اذا كان خبرهـا مشتقا .. فلم أجد فى كلام الامام الزركشى ما يشـــير اليه أو يدل عليه .

هذا وفى موطن آخر من كتـابة البرهان فى علوم القرآن ذكر أن الكاف تأتى للتشـــبيه مثل قوله تعالى : وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام (١) . وهو كثير . وتأتى للتعليل وهو ظاهر فى قوله تعـــالى : واذكروه كما هـداكم (٢) . وللتوكيد كمـا فى قوله تعالى : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشـــها (٣) . ولتأكيد الوجود كقوله تعالى : وقل رب ارحمهما كمـــا ربيانى صغيرا (٤) . أى أن تربيتهما لى قد وجدت كذلك أوجد رحمتك لهما يارب .

أما كأن فانهاللتشـــبيه المؤكد ولهـــذا جاء « كأنه هو » (٥) . دون غيرها من أدوات التشبيه ولليقين كما فى قوله تعالى : ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء (٦) . هـــذا ما قاله الامام الزركشى فى الفروق بين الـــكاف وكان (٧) .

---

(١) سورة الرحمن : ٢٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٩٨ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(٤) سورة الاسراء : ٢٤ .
(٥) سورة النمل : ٤٢ .
(٦) سورة القصص : ٨٢ .
(٧) راجع البرهان فى علوم القرآن (٤ : ٣١٠ ، ٣١١) .

المبحث الخامس

أقسام التشبيه

فى هذا المبحث بين الامام الزركشى أقسام التشبيه اما أن يكون بحرف « أى أداة » أولا . وتشبيه ذكر ها للتشبيه تبلغ عنده ثلاثة تقسيمات .

التقسيم الأول :

فى هذا التقسيم أشار الامام الزركشى الى أن التشبيه أما ان يكون بحرف « أى أداة » أولا . وتشبيه الحرف ضربان :

أحدهما :

ان يدخل عليه حرف التشبيه فقط كقوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة »(١) وقوله : وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢) . ثم ذكر بعض الآيات التى وردت فيها أداة التشبيه ـ الكاف .

ثانيا :

أن يضاف الى حرف التشبيه حرف مؤكد ليكون ذلك علما على قوة التشبيه وتأكيده كقوله تعالى : كأنهن الياقوت والمرجان (٣) . كأنهن بيض مكنون (٤) . ثم

---

(١) سورة النور : ٣٥ .
(٢) سورة الواقعة : ٢٢
(٣) سورة الرحمن : ٥٨ .
(٤) سورة الصافات : ٤٩ .

ذكر بعض الآيات التى وردت فيها أداة التشبيه « كأن ».

اعتراض وجوابه :

بعد أن بين الضربين السابقين للتشبيه الذى يكون بأداة ومثل لهما بأمثلة من القرآن الكريم قال : فان قيل : كيف استرسل أهل الجنة فى قوله : كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل (١) . ولاشك أنه ليس به واحترزت بلقيس فقال « كأنه هو » (٢) . ولم تقل هو هو ؟.

قيل : أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم ، وأن أحد الا يعتقد فى الحاضر أنه عين المستهلك الماضى ، وأما بلقيس فالتبس عليها الأمر وظنت أنه يشبهه لأنها بنت على العادة ، وهو أن السرير لا ينتقل من اقليم الى آخر فى طرفة عين .

هذا هو تشبيه الحرف « أى ما يكون بأداة » وأما التشبيه بغير حرف « بغير أداة » فيقصد به المبالغة تنزيلا للثانى منزلة الأول تجوزا . كقوله تعالى : وأزواجة أمهاتهم (٣) . وقوله : وسراجا منيرا (٤) . وقوله : وجنة عرضها السموات والأرض (٥) . وكذلك تمر مر السحاب (٦) .

وجعل الفارسى منه « أى التشبيه بغير حرف » قوله تعالى : قواريرا قواريرا من فضة (٧) . أى كأنها فى

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢) سورة النمل : ٤٢ .
(٣) سورة الاحزاب : ٦ .
(٤) سورة الاحزاب : ٤٦ .
(٥) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٦) سورة النمل : ٨٨ .
(٧) سورة الدهر : ١٦ .

بياضها من فضة فهو على التشبيه . لا على أن القوارير من فضة بدليل قوله : بكأس من معين . بيضاء (١) . فقوله : بيضاء : مثل قوله من فضة

تنبيهان :

الأول : فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة :

لقد بين الامام الزركشى فى هذا التنبيه الأول أن التشبيه المحذوف الأداة يشبه الاستعارة فى بعض المواضع والفرق بينهما ، كما قال حازم القرطاجنى .. أن الاستعارة وان كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

ثم قال : وقال الرمانى فى قوله : وآتينا ثمود الناقة مبصرة (٢) . أى تبصره . لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها :

اختلاف البيانيين فى قوله تعالى : صم بكم عمى (٣) :

لقد ذكر الامام الزركشى اختلاف البيانيين فى قوله تعالى : صم بكم عمى : فالمحققون ، كما قال الزمخشرى على أنها من وادى التشبيه البليغ لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون - أى مذكور فى تقدير الآية والاستعارة لا يذكر فيها المستعار له ويجعل خلوا عنه . بحيث يصلح لأن أراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا القرينة ومن

---

(١) سورة الصافات : ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) سورة الاسراء : ٥٩ .
(٣) سورة البقرة : ١٨ .

ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا ٠

هذا ما نقله الزركشى عن الزمخشرى ثم بعد ذلك قال : قال السكاكى لأن من شرط الاستعارة امكان حمل الكلام على الحقيقة فى الظاهر وتناسى التشبيه وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ٠ فلا يجوز « أن يكون استعارة » (١) ٠

هذا ما قاله الامام الزركشى فى التنبيه الأول فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة وهناك ملاحظتان:

الملاحظة الأولى :

أن الامام الزركشى لم ينقل آراء جميع العلماء فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة بل اكتفى بذكر من يرون أن هناك فرقا بينهما وهم حازم القرطاجنى والرمانى والزمخشرى والسكاكى ، أما هؤلاء الذين لا يرون أن بينهما فرقا لم يذكرهم ولم يتعرض لآرائهم ووجهة نظرهم ٠

الملاحظة الثانية :

أن الامام الزركشى أوجز واختصر كلام الزمخشرى فى الآية الكريمة : صم بكم عمى ٠ كذلك أوجز كلام السكاكى فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة ٠ ولذلك سأذكر ما قاله الزمخشرى والسكاكى فى ذلك من مصادرهما ـ الكشاف والمفتاح ، وأبين آراء العلماء فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة بالتفصيل :

---

(١) راجع التنبيه الأول فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤١٨ ، ٤١٩) ٠

ما مفهوم التشبيه البليغ والاستعارة ؟

قبل أن أذكر آراء العلمـــاء فى التشـــبيه البليغ والاستعارة يجب أن أحدد ٠

مفهومهما :

التشبيه البليغ :

كل تشبيه حذف منه وجه الشبه وأداته وكان المشبه به خبرا عن المشـبه أو فى حكم الخبر كخبر ـ كان ـ و ـ أن ـ و ـ المفعول الثـــانى لفعـــل من أفعـــال اليقين والرجحان و « الحال » و « الصفة » (١)

ومن أمثلة التشبيه البليغ ما ذكره الامام الزركشى من قوله تعالى : وازواجة أمهـــاتهم ـ وسراجا منيرا ـ وجنة عرضها السموات والأرض ـ تمر مر السحاب ٠

وربما يرجع السر فى تسميته تشبيها بليغـا الى أن حذف الأداة فيه يشـــعر بدعوى الاتحاديين الطرفين وحذف الأداة يشعر ظاهرا بالتعميم فى وجه الشبه حتى كأن المشبه قد شارك المشبه به فى جميع صفاته ٠

الاســتعارة :

عبارة عن اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضـوع له وما اســتعمل فيه مع قرينة مانعة من ارادة ما وضع له ٠

---

(١) البلاغة التطبيقية (٢٢٢) ٠

وان أردت الايجاز فقل : الاستعارة هى مجاز علاقته المشابهة (١) ٠

هذا هو مفهوم التشبيه البليغ والاستعارة فما الفرق بينهما ؟

يرى أبو هلال العسكرى والغانمى وأبو الحسن الآمدى وأبو محمد الخفاجى ومن لف لفهم من علماء النقد والبلاغة المتقدمين أن الاسد فى نحو قولك : محمد أسد : استعارة ٠ ولهم على ذلك حجتان :

الحجة الأولى :

قولهم الاستعارة ليس لها آلة والتشبيه له آلة فما كانت فيه آلة التشبيه ظاهرة فهو تشبيه وما لم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة فقوله زيد الاسد ٠ لا آلة فيه فوجب كونه من الاستعارة ٠

الحجة الثانية :

هو أن المفهوم من قولنا زيد الاسد مثل المفهوم من قولنا ٠ لقيت الاسد ، وأتانى أسد ، فاذا كان مفهومهما واحدا فى المبالغة فى المجاز فاذا قضينا يكون احدهما استعارة وجب أن يكون الآخر كذلك من غير تفرقة بينهما ٠

أما القاضى الجرجانى ـ صاحب الوساطة ـ وعبد القاهر الجرجانى وجار الله الزمخشرى والسكاكى ومن شايعهم من جمهور البيانيين فهم يرون أنه من باب التشبيه المضمر الأداة ٠ ولهم على ذلك أدلة منها :

---

(١) المرجع السابق (١١٥) ٠

١ - أن الأســـماء فى دلالتها على مدلولاتها نازلة منزلة الهيئات فى دلالتها على ما تدل عليه من الاحوال. فكما أنك لو أخذت رجلا من الســوقة معلوما حالة بكونه سوقيا . ثم البســته تاج الملك واعرته اياه واقعدته على تخت المملــكة بحيث أن كل من رآه توهم أنه هو الملك لكنت قد اعرته الملك لأن المقصود من هيئة الملك حصول المهابة فى النفوس والجلالة فى الأعيان ولــكن ذلك غير حاصل مع بقاء ما يدل على كونه ســوقيا فهكذا ما نحن فيه اذا قلت : زيد اسد ، فقد نفيت عنه ما يدل على أنه ليس بأسد لأن الذاتين لا يكونان ذاتا واحــدة فلا جرم لا تحصل المبالغة المقصــودة من الاســتعارة فلا تكون الاعارة حاصلة .

٢ - ان المقصود من الاســتعارة هو أن يحصــل للمســتعير من المنــافع مثل ما كان حاصلا للمعير منها كالثوب مثلا فان المستعير يلبسه كما يلبسه المعير ســواء فاذا قلت زيد أسد فالمقصود من هذا الاخبار عن الشخص المعلوم بكونه أسد لا غير بخلاف قولك : لقيت الاســد فانك تفيد به أنه هو الحيوان المعلوم فى الشجاعة فقــد صار الاسم منتفعا بالشجاعة مثل انتفاع الاسد بها بخلاف قولك زيد الاسد فلم يقع ذلك الموقع فلهذا لم يكن منتفعا بها فلا جرم قضينا بكونه غير مستعار .

٣ - أن التشــبيه حكم اضــافى فلا يوجد الا بين شيئين : مشبه ومشبه به بخلاف الاستعارة فانها لا تفتقر الى شىء من ذلك ، بل تفهم مطلقة من غير اشــارة الى شىء آخر وراء الاســتعارة ولهذا فانك تجــد فرقا بين قولك . محمد أسد وقولك جائنى الاسد فى كون الأول ينجذب الى التشبيه لأنه يشير اليه والثانى استعارة لأنه يفهم مطلقا من غير اشــارة الى آخر مع ان الاسلوبين متفقان فى اضمار أداة التشبيه .

٤ - ان مدار الفرق بين الاستعارة والتشبيه - اذا تردد بينهما - أن اسم المشبه به كان مستعملا فى معنى المشبه كان استعارة وان كان مستعملا فى معناه الحقيقى كان تشبيها ٠

وعلامة كونه مستعملا فى معنى المشبه ان يصح وقوع اسم المشبه موقعه ولا يفوت الا المبالغة فى التشبيه فيصبح فى نحو - رأيت أسدا : ان يقال رأيت رجلا شجاعا فاذا انتفت هذه العلامة فقد انتفى كونه استعارة وكان تشبيها سواء كان المشبه مذكورا بالفعل أم مقدر فى نظم الكلام أم لا يكون مذكورا ولا مقدرا ، لكن معنى الكلام لا يستقيم الا على كون المشبه مرادا فيه (١) ٠

هذه هى آراء الفريقين ووجهة نظرهم ٠ ولعلى أكون قد وضحت وفصلت وذكرت معظم الآراء فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة وبذلك تكون الصورة واضحة وظاهرة لكل من يريد ان يعرف آراء العلماء ووجهة نظرهم فى تلك القضية البلاغية ٠ وهذه هى الملاحظة الأولى ٠ أما الملاحظة الثانية فهى ذكر رأى العالمين الجليلين الزمخشرى والسكاكى من الكشاف والمفتاح ٠

قال تعالى : صم بكم عمى : قال الزمخشرى : فان قلت هل يسمى ما فى الآية استعارة ؟ قلت مختلف فيه والمحققون (٢) ٠ على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة

---

(١) راجع الطراز (١ : من ٢٠٤ الى ٢٠٧) والبلاغة التطبيقية (من ٢٢١ الى ٢٢٤) ٠

(٢) هؤلاء المحققون فى ظننا على بن عبد العزيز الجرجانى، وعبد القادر الجرجانى ٠ البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى (٤٠٩) ٠

لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير ٠

لدى أسد شاكى السلاح مقذف
له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المنافقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول
بأن له حاجة فى السماء

ولبعضهم :

لا تحسبوا أن فى سر باله رجلا
ففيه غيث وليث مسبل شبل

وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك الى تسميته استعارة ٠ لأنه فى حكم المنطوق به نظيرة قول من يخاطب الحجاج :

أسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر (١)

هذا ما قاله الزمخشرى فى الكشاف ٠ أما السكاكىفقد قال فى المفتاح : واعلم أن ليس من الواجب فى التشبيه ذكر كلمة التشبيه بل اذا قلت ـ زيد أسد ٠ واكتفيت بذكر الطرفين عد تشبيها ٠٠٠ وانما عد نحو

---

(١) الكشاف (١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) ٠

زيد أسد تشبيها لأنك حين أوقعت أسد وهو مفرد غير جملة خبر الزيد استدعى أن يكون هو اياه مثله فى زيد منطلق فى أن الذى هو زيد بعينه منطلق والا كان ـ زيد أسد مجرد تعديد نحو ـ خيل فرس لا اسنادا لكن العقل يأبى أن يكون الذى هو انسان هو بعينه أسد فيلزم لامتناع جعل اسم الجنس وصفا للانسان حتى يصح اسناده الى المبتدأ المصير الى التشبيه بحذف كلمته قصدا الى المبالغة واذا عرفت أن وجود طرقى التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه عرفت أن فقد كلمة التشبيه لا تؤثرر الا فى الظاهر (١) ٠

التنبية الثانى :

قال الامام الزركشى : فى هذا التنبيه قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى اذا لم يرد معنى ولم يكن منويا كان استعارة :

ومثل لذلك بقوله تعالى : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر (٢) ٠ فهذا تشبيه لا استعارة لذكر الطرفين ٠ الخيط الاسود ٠ وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيها بخيط أسود وأبيض وبينا بقوله : من الفجر ـ والفجر وان كان بيانا للخيط الأبيض ـ لكن لما كان أحدهما بيانا للآخر لدلالته عليه اكتفى به عنه ولولا البيان كان من باب الاستعارة ٠ كما أن قولك ٠ رأيت أسدا ٠ استعارة فاذا ازدت ـ من فلان ـ صار تشبيها وأما أنه لم زيد ـ من الفجر ـ حتى صار تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التى هى بلغ فلا أن شرط الاستعارة أن يدل أن يدل عليه الحال

---

(١) مفتاح العلوم (٣٥٤) ٠
(٢) سورة البقرة : ١٨٧ ٠

ولو لم يذكر ـ من الفجر ـ لم يعلم أن الخيطين مستعارا ان من ـ بدا الفجر ـ فصار تشبيها ٠

الامام الزركشى يتأثر بالزمخشرى فى بيانه للتشبيه فى الآية الكريمة :

لو وازنا بين ما قالـــه الامام الزركشى فى قولـــه تعالى : حتى يتبين كلم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر ـ وبين ما قاله الزمخشرى فيها وهو يبين أنها من وادى التشبيه لا الاستعارة لأدركنا أن الامام الزركشى تأثر به وأفاد منه واليـــك ما قاله الزمخشرى فى الآية الكريمة ـ قال : الخيط الأبيض هو أول ما يبـــدو ومن الفجر المعترض فى الافق كالخيط المحدود والخيط الاســـود ما يمتـــد معه من غبش الليـل شـــبها بخيطين أبيض وأسود ـ قال أبو داود « فلما ضاءت لنا سدفة ولاح من من الصبح خيط أنارا ٠

وقوله ـ من الفجر ـ بيـــان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لأن بيان احدهما بيان للثانى ٠٠ فان قلت اهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة ٠ كما ان قولك ـ رأيت أسدا ـ مجاز فاذا ازدت من فلان رجـــع تشبيها ـ فان قلت ـ فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعادة التى هى أبلغ من التشبيه وادخل فى الفصاحة ؟ قلت لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغـا وخرج من أن يكون استعارة (١) ٠

لعل من هـــذا النص ما يدل دلالة قاطعة على أن

---

(١) الكشاف (١ : ٣٣٩) ٠

الامام الزركشى قد أفـــاد من الزمخشرى وهـــو يحلل أسلوب التشبيه فى الآية الكريمة ٠

هذا هو التقسيم الأول للتشبيه عند الامام الزركشى فقد قسمه الى تشبيه بحرف وتشبيه بغير حرف وتشبيه الحرف ضربان ـ أحدهما ان يدخل عليه حرف التشـــبيه فقط ٠

وثانيهما ان يضاف الى حرف التشبيه حرف مؤكـد ليكون ذلك علما على قوة التشبيه وتأكيده ٠ وأما التشبيه بغير حرف فيقصد به المبالغة تنزيلا للثانى منزلة الأول تجوزا وهو ما أطلق عليه اسم التشبيه البليغ ٠ كما شمل هذا التقسيم بيانه للفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة فذكر آراء العلمـــاء الذى يرون فرقا بينهما وهم حازم القرطاجنى والرمانى والزمخشرى ٠ أما هؤلاء الـــذين الذين لا يرون فرقا بينهمـــا وهم أبو هـــلال العســـكرى والآمـــدى والخفاجى فلم يذكرهم ولم يشر اليهم ولذلك بينت آراءهم ووضحت حججهم ٠ كذلك شمل هذا التقسيم بيان قاعدة مضمونها : ان التشبيه قد يترك لفظا ويراد معنى اذا لو لم يرد معنى ولم يكن معنويا كان استعارة٠ وقد ظهـــر لى أن الامام الزركشى قد أفاد من الزمخشرى فى هذه القاعدة ٠ هـــذا هو التقسيم الأول للتشبيه عنـــد الامام الزركشى (١) ٠

---

(١) راجع التقسيم الأول فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : من ٤١٦ الى ٤٢٠) ٠

التقسيم الثـانى :

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه

قسم الامام الزركشى التشبيه باعتبـــار طرفية الى أربعة أقسام :

الأول :

اما حسبان . كقوله تعـــالى : حتى عاد كالعرجون القديم (١) . وقوله : كأنهم أعجاز نخل منقعر (٢) .

الثـانى :

أو عقليان كقوله تعالى : ثم قست قلوبكم من بعـــد ذلك فهى كالحجارة (٣) .

الثـــالث :

تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى : مثل الذين اتخـــذوا من دون الله أوليـــاء كمثل العنكبوت (٤) . وقوله : مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشـتدت به الريح (٥) . وقوله : كمثل الحمار يحمل أسفارا (٦). لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على العـــانق انما هو القيام بما فيها .

---

(١) سورة يس : ٣٩ .
(٢) سور القمر : ٢٠ .
(٣) سورة البقرة : ٧٤ .
(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .
(٥) سوررة ابراهيم : ١٨ .
(٦) سورة الجمعة : ٥ .

الرابـع :

تشبيه المحسوس بالمعقول : أشـار الزركشى الى أن هذا القسم منعه الامام لأن العقل مسـتفاد من الحس ولذلك قيل - من فقد حسا فقد فقد علما .

واذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيه به يستلزم جعل الأصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز : واجازة غيره كقوله :

وكأن النجوم بين دجـاه
سنن لاح بينهن ابتداع (١)

هذا كل ما قاله الزركشى فى أقسام التشبيه باعتبار طرفيه ولى عليه بعض الملاحظات :

أولا : تأثره بابن القيم فى هذه الاقسام :

لو رجعنا الى الامام ابن القيم فى هذا التقسـيم لوجدنا ان الامام الزركشى أفاد منه فى هذاالمبحث وعلى الأخص فى القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول. يقول ابن القيم : وأما القسـم الرابع وهـو تشـبيه المحسـوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما واذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا وللأصل فرعا وهو غيـر جائز .. مع أنه قد ورد فى الكلام الفصيح واشـعار العرب والمتأخرين منه مالا يحصى فمن ذلك قول بعضـهم : وكأن النجوم بين دجاها : سنن لاح بينهن ابتداع .. ثم

---

(١) راجع البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٠ ، ٤٢١) .

زاد ابن القيم قسما خامسا نقله عن ابن الاثير وهو غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شيء الا والغرض به المبـــالغة . فما جاء من ذلك قول بعضهم : فى طلعة البدر شيء من ملاحتها وفى القضيب نصيب من تثنيها .

والغرض بهذا النوع المبالغة فى وصف المشـــبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلا (١) .

لعل فى هذا النص ما لا يدع مجالا للشـــك فى تأثر الزركشى بابن القيم فى هذا المبحث .

ثانيـا :

كان على الامام الزركشى قبـــل أن يذكر أقسـام التشبيه باعتبار طرفيه أن يحدد مفهوم الطرفين(المشبه والمشبه به) فالمشبه : هو ما أريد الحاقه بغيره فى صفة مشتركة بينهما . والمشبه به : ما أريد الحاق غيره به فى صفة مشتركة بينهما .

فاذا قلت : أوراق الـــورد كالحرير فى النعومة . كانت أوراق الورد هى المشبه الذى أريد الحاقه بالحرير فى صفة النعومة وكان الحرير هو المشبه به الذى أريـــد الحاق الورد به فى هذه الصفة (٢) .

ثالثـا :

كان عليه قبل أن يذكر أقسام التشبيه باعتبار طرفيه الحس والعقلى منهما أن يحدد المقصـود بالطرف الحس

---

(١) الفوائد المشون الى علوم القرآن وعلم البيان (٥٨، ٥٩)
(٢) الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان (٢٤) .

وما يلحق به والطرف العقلى وما يلحق به ويمثل لهـذه الأنواع ولكنه اكتفى بهذا التقسيم السابق دون ان يحدد مفهوم الحسى والعقلى منهما ولذلك سأبين ما لم يذكره فأقول :

أولا :

المراد بالطـــرف الحسى : ان يكون مدركا هو أو مادته التى يتركب منها بأحد الحواسى الخمس الظاهرة وهو نوعان :

حسى حقيقى :

وهو ما كان من الكائنات التى لها وجود وثبوت فى الواقع ويصل المرء الى معرفتها بحاســـة من الحواس الخمس المعروفة وذلك مثل قول الشاعر ٠

سارت جحا فلهم فى الأرض تثقلها
كأنها السيل فى الوديان تنهمر

فكلا الطرفين فى هذا البيت مدرك بحاسة البصر ٠

حسى خيالى ٠

وهو ما كان من الأمور المتخيلة التى يخترعها خيال الانسان ويؤلفها من أشياء موجودة محسوســة وان كانت هى فى صورتها الكلية لا وجود لهـــا فى الواقع ٠ وذلك مثل قول الصنوبرى ٠

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

فالمشـــبه به وهو الاعلام المصـــنوعة من الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد من الأمور المتخيلة التى لا وجود لها فى الواقع ولا تدرك بالحس الظاهر ٠

ثانيـا :

المراد بالطرف العقلى الا يكون هو ولا مادته مدركا بالحواس بأن يكون من المعانى التى يدركها المرء بعقله أو يحسها بوجدانه ولا مدخل للحس فى ادراكهـا وذلك مثل قول الشاعر العشق :

كالموت يأتى لا مرد له
ما فيه للعاشق المسكين تدبير

فالمشبه والمشـــبه به كلاهما عقليان ٠ وهذا النوع ينقسم قسمين ٠

١ ـ عقلى حقيقى :

وهو ما كان من المعـــانى الثـــابتة الموجودة التى يشتغل العقل بادراكها كالعلم والفهم والذكاء ٠٠ الخ ٠

٢ ـ عقلى توهمى :

وهو ما كان من الأمور الوهمية التى لا وجود لهـا ولا لاجزائها فى الخارج ولكنها استقرت فى وهم الانسان العادى نتيجة اسطورة محكية أو عقيدة موروثة كانيـاب الغول فى قول امرىء القيس ٠

ايقتلنى والمشرفى مضاجعى
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ورءوس الشياطين فى قوله تعـــالى : طلعها كأنه رءوس الشياطين (١) ٠

تقسيم للتشبيه باعتبار آخر ٠

بعد أن قسم الزركشى التشبيه باعتبـار طرفيه الى أربعة أقسام قسمة باعتبار آخر غير الحسية والعقلية الى خمسة أقسام ٠ ويبدو وتأثره بالرمانى واضحا فى هـذه للأقسام ولنعرض ما قاله الرمانى أولا ثم نتبعه بما قاله الزركشى لتدرك مدى افادته من الرمانى فى هذه الأقسام الخمسة :

قال الرمانى : والاظهر الذى يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه :

منها اخراج مالا تقع عليه الحاسـة الى ما تقع عليه الحاسة ٠

ومنها اخراج ما لم تجربه عـادة الى ما جـرت به عادة ٠

ومنها اخـــراج مالا يعلم بالبـــديهة الى ما يعلـم بالبديهة ٠

ومنها اخراج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فى الصفة ٠

فالأول نحو تشبيه المعدوم بالغائب والثانى تشـبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم والثالث تشـــبيه اعادة الاجسام باعادة الكتاب ٠ والرابع تشبيه ضـــياء السراج بضياء النهار ٠

---

(١) راجع المرجع السابق (من ٢٥ الى ٣٠) ٠

ثم أخذ بعـــد ذلك يمثل لهـــذه الوجوه من القرآن الكريم :

فمن الوجه الأول وهو اخراج مالا تقع عليه الحاسة ما تقع عليه قوله تعالى : والذين كفروا أعمـالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ٠ فهذا بيان قد اخرج مالا تقع عليه الحاسه الى ما تقع عليه وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شـــدة الحاجة وعظم الفاقه ٠

ومن الوجه الثانى : وهـو اخراج ما لم تجربه عادة الى ما جرت به عادة قوله تعالى : واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ٠ وهذا بيـــان قد اخرج ما لم تجربه عادة الى ما قد جرت به العادة وقد اجتمعا فى معنى الارتفـــاع بالصورة ٠٠ ومثله قوله تعالى : انما مثل الحياة الدنيـا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ٠٠ وقد اجتمع المشبه والمشـــبه به فى الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده وفى ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر أن كل فان حقير وان طالت مدته وصغير وان كبر قدره ٠

ومن الوجه الثالث : وهو اخراج ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بها قوله تعـــالى : وجنة عرضـــها كعرض الســـماء والأرض ـ فهذا تشـــبيه قد اخرج ما لا يعلم بالبديهه الى ما يعلم وفى ذلك البيان العجيب بما قـــد تقرر فى النفس من الأمور والتشـــويق الى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة وقد اجتمعا فى العظم ٠

ومن الوجه الرابع : وهـــو اخراج ما لا قـوة له فى الصفة الى ماله قوة فيها ٠

قوله تعالى : وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام٠

فهذا تشبيه قد اخرج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فيها وقداجتمعا فى المعظم الا ان الجبال أعظم وفى ذلك العبرة من وجهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها وما فى ذلك من الانتفاع بها وقطع الاقطار البعيدة فيها (١) .

هذا ما قاله الرمانى فى هذا الأوجه الاربعة وأمثلتها من القرآن الكريم ولنذكر ما قاله الامام الزركشى فى هذه الأوجه . قال : ينقسم التشبيه باعتبار آخر الى خمسة أقسام .

الأول :

قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فان ادراكها ابلغ من ادراك الحاسة لقوله تعالى : كأنه رءوس الشياطين (٢) . فشبه بما لا نشك أنه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وان لم ترها عيانا .

الثانى :

عكسة كقوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسراب (٣) . اخرج مالا يحس وهو الايمان الى ما يحس وهو السراب ـ والمعنى الجامع بطلان التوهم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث :

اخرج ما لم تجر العادة به الى ما جرت به نحو :

---

(١) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن بتصرف (من ٨١ الى ٨٥)
(٢) سورة الصافات : ٦٥ .
(٣) سورة النور : ٣٩ .

واد نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (١) . والجامع بينهما الانتفاع بالصورة وكذا قوله : انما مثل الحياة الدنيا ، كماء انزلناه من السماء (٢) . والجامع البهجة والزينة ثم الهلاك وفيه العبرة .

الرابع :

اخراج مالا يعرف بالبديهة الى ما يعرف بها كقوله : وجنة عرضها السموات والأرض (٣) . الجامع العظم وفائدته التشويق الى الجنة بحسن الصفة .

الخامس :

اخرج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فيها كقوله: وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام (٤) . والجامع فيهما العظم والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الاجسام العظام فى أعظم ما يكون من الماء . وعلى هذه الأوجه تجرى تشبيهات القرآن (٥) .

هذا ما قاله الامام الزركشى فى هذه الأوجه وليس بينه وبين الرمانى من فرق الا ان الزركشى زاد وجها خامسا وهو تشبيه ما تقع عليه الحاسة بمالا تقع عليه اعتماد على معرفة النقيض والضد والرمانى قد اكثر من الامثلة والشواهد القرآنية على هذه الأوجه بينما لم يمثل الزركشى الا بمثال واحد واثنين للوجه الواحد وما عدا ذلك فقد أفاد الزركشى من أمثلة الرمانى وتعليقه عليها ويظهر ذلك واضحا بمراجعة النصين السابقين لهما .

---

(١) سورة الاعراف : ١٧١ .
(٢) سورة يونس : ٢٤ .
(٣) سور آل عمران : ١٣٢ .
(٤) سورة الرحمن : ٢٤ .
(٥) راجع البرهان فى علوم القرآن (٤٢١ ، ٤٢٢) .

التقسيم الثالث :

التشبيه المفرد والمركب

فى هذا التقسيم قسم الامام الزركشى التشبيه الى مركب ومفرد ٠

فاالتشبيه المركب : أن ينتزع من أمور مجموع بعضها الى بعض كقوله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفارا (١)٠ فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وذلك هو حمل الأسفار التى هى أوعية العلم وخزائن ثمرة العقول ثم لا يحسن ما فيها ولا يفرق بينها وبين سائر الاحمال التى ليست من العلم فى شىء فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه ٠

وفى موطن آخر من كتابه يوضح الغرض من التشبيه فى الآية فيقول : فان الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذى يحمل أسفار الحكمة وليس من حملها الا الثقل والتعب من غير فائدة (٢) ٠

هذا ما قاله الامام الزركشى فى بيان التشبيه فى هذه الآية ٠ ويلاحظ أنه لم يذكر وجه الشبه فيها وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه وهو مركب عقلى والغرض من ذلك التمثيل هو ذم اليهود بتلك الحال وتقبيح أمرهم والتشنيع عليهم ولا يمكن حصول هذا الغرض وانتزاع وجه الشبه المذكور الا اذا روعى فى المشبه به أمور ثلاثة :

---

(١) سورة الجمعة : ٥

(٢) البرهان فى علوم القرآن (١ : ٤٩٣) ٠

١ ـ حمل فيه مشقة وعناء ٠

٢ ـ ومحمول مخصوص هو أسفار العلوم ٠

٣ ـ وحامل هو الحمـــار الذى هو مثل فى الجهل والبلادة ٠

ثم لا يمكن اعتبار كل واحد من هذه الثلاثة مستقلا عن الآخر لتكون تشـبيها بعد تشـبيه ٠٠ لأن الغرض لا يتحقق الا بامتزاجها فانه لا يتعلق بالحمل حتى يكون المحمول الأسـفار ولا بهذين حتى يقترن بهما جهل الحمار الحامل فما لم يعتبر ذلك لا يتم المقصود (١) ٠

كذلك مثل الامام الزركشى للتشبيه الركب بهاتين الآيتين :

الأولى :

قوله تعالى : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العكنبوت اتخذت بيتا (٢) ٠ والثانية قوله تعالى : واضرب لهم مثل الحيـاة الدنيا كماء انزلنـاه من السماء (٣) ٠ ثم قال : بعضهم ٠ شبه الدنيا بالماء ووجه الشـبه أمران ٠ احدهما ان المـاء اذا اخذت منه فوق حاجتك تضررت وان اخذت قدر الحاجة نتفعت بهفكذلك الدنيا ٠ وثانيهما ان الماء اذا اطبقت كفك عليه لتحفظه لم يحصل فيه شىء فكذلك الدنيا وليس المراد تشـبيهها بالماء وحده بل المراد تشبيهه بهجة الدنيا فى قلة البقاء والدوام بأنيق النبـات الذى يصـير بعد تلك البهجة والفضاضة والطراوة الى ما ذكر ٠

---

(١) راجع بغية الايضاح (٣ : ٣٣) ودراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر (٤٤) ٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤١ ٠

(٣) سورة الكهف : ٤٥ ٠

كذلك من تشبيه المفرد بالمركب عند الامام الزركشى: قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة (١) ٠ فانه سبحانه أراد تشبيه نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن ثم مثله بمصباح ثم لم يقنع بكل مصباح بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الاضاءة بوضعه فى مشكاة وهى الطاقة غير النافذة وكونها لا تنفذ لتكون اجمع للتبصر وقد جعل فيها مصباح فى داخل زجاجة ٠ فيه الكوكب الدرى فى صفائها ودهن المصباح من اصفى الادهان وأقواها وقودا لأنه زيت شجر أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية فلا تصيبها الشمس فى احد طرفى النهار بل تصيبها اعدل اصابة ٠

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم ضرب للكافر مثلين أحدهما : كسراب بقيعة (٢) ٠ والثانى : كظلمات فى بحر لجى (٣) ٠ شبه الأول ما يعلمه من لا يقدر الايمان المعتبر بالأعمال التى يحبها بقية ثم يخيب أمثله بسراب يراه الكافر بالساهرة ٠ وقد غلبه عطش يوم القيامه فيجيئه فلا يجده ماء ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيلقونه الى جهنم (٤) ٠

بعض الملاحظات على التقسيم الثالث :

من يقرأ هذا التقسيم للتشبيه عند الزركشى يدرك لأول وهلة أنه لم يتعرض للتشبيه المتعدد ولم يمثل له كذلك لم يحدد مفهوم التشبيه المفرد وان كان قد مثل للتشبيه المفرد بالمركب بقوله تعالى : مثل نوره كمشكاة:

---

(١) سورة النور : ٣٥ ٠٠
(٢) سورة النور : ٣٩ ٠
(٣) سورة النور : ٤٠ ٠
(٤) راجع التقسيم الثالث فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٢ ، ٤٢٣) ٠

وهاأنذا أحدد المقصـــود بالتشـــبيه المفرد والمتعدد مع التمثيل لهم ٠

١ ـ التشبيه المفـرد :

ما كان وجهه أمرا واحدا أو متنوعا من أمر واحـــد مثل وجهه كالقمر فى السناء وكلامه كالعسل فى الحلاوة « استطابة النفس » ٠

٢ ـ التشبيه المتعدد :

ما جاء معقودا على تشبيه أمرين أو أكثر بأمرين أو أكثر من غير مزج ولا بنـــاء بعض على بعض ٠ وذلك كقول امرىء القيس ٠

كأىقلوب الطيور طبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

فالقلوب الرطبة مشبهة بالعناب واليابسة مشـــبهة بالحشف البالى (١) ٠

وعلى ذلك فيمكن أن تكون صور التشبيه بالنسبة الى الأفراد والتعدد والتركيب كما يلى :

١ ـ تشبيه مفرد بمفرد ٠ مثـــل قوله تعالى : هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ٠ ولقول البحترى :

تبسم وقطوب فى ندى ووغى
كالغيث والبرق تحت العارض البرد

---

(١) محاضرات فى البيان العربى (١٧ ، ١٨) ٠

٢ - تشبيه مفرد بمركب مثل قول الشاعر :

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصـعد
اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

وقول الشاعر :

كأن السهى انسان عين غريقة
من الدمع يبدو وكلما ذرفا

٣ - تشبيه مركب بمركب : مثل قول بشارين برد ٠

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكقول الشاعر :

وكأن اجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط أزرق

٤ - تشبيه متعدد متعدد ٠ مثل قول امرىء القيس ٠

كأن قلوب الطيور رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

٥ - تشبيه معتمد بمفرد مثل قول الشاعر :

---

(١) راجع الايضاح (١٩ ، ٢٢٧) والفوائد المشوق الى علوم القرآن (٦٠ ، ٦٢) ٠

صدغ الحبيب وخالى
كلاهما كالليالى (١)

هذه هى صور التشبيه التى يأتى عليها التشـــبيه المفرد والمركب والمتعـــدد وان كان الامام الزركشى لم يمثل فى هذا التقسيم الا بصورتين فقط هما : تشـــبيه المركب بالمركب ، وتشـــبيه المفرد بالمركب . أما بقيـة أنواع التشبيه فلم يمثل لها فى هذا التقسيم (٢) .

(١) راجع الايضاح (٢١٩ ، ٢٢٧) والفوائد المشوق الى علوم القرآن (٦٠ ، ٦٢) .

(٢) راجع التقسيم الثـــالث فى البرهان فى علوم القـــرآن (٣ : ٤٢٢ ، ٤٢٣) .

المبحث السادس

بعض القواعد فى مبحث التشبيه

فى هذا المبحث ذكر الامام الزركشى سبع قواعد تتعلق بالتشبيه وهذه القواعد هى :

١ ـ القاعدة الأولى :

قال الامام الزركشى موضحا هذه القاعدة : قد تشبه أشياء بأشياء ثم تارة يصرح بذكر المشبهات كقوله تعالى : وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيىء (١) . وتارة لا يصرح بها بل تجىء مطوية على سن الاستعارة كقوله : وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج (٢) : ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون (٣) . الآية .

ثم نقل عن الزمخشرى قوله : فى الآيتين الأخيرتين: والذى عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة لا المفردة : بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزو لا بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها ، كما ذكرنا وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء تضامت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى كقوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة .. الآية ونظائره من حيث اجتمعت تشبهات ، كما فى تمثيل الله حال

---

(١) سورة غافر : ٥٨ .
(٢) سورة فاطر : ١٢ .
(٣) سورة الزمر : ٢٩ .

المنافقين أول سورة البقرة - قال الزمخشرى . وأبلغه الثانى لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر . قال : وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون الى الاغلظ (١) . هذا ما قاله الامام الزركشى فى هذه القاعدة ولم يرد شيئا على ما قاله الزمخشرى فيها بل اختصر كلامه اختصارا .

الامام الزركشى ينقل هذه القاعدة وأمثلتها من الزمخشرى دون أن يضيف اليها جديدا

بالرجوع الى الكشاف تبين لى أن الامام الزركشى نقل هذه القاعدة وأمثلتها والتعليق عليها من الزمخشرى وبعرض ماقاله الزمخشرى يظهر مدى صحة هذا الادعاء .

قال تعالى : مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون - صم بكم عمى فهم لا يرجعون - أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (٢) .

قال الزمخشرى موضحا التمثيل فى الآيات القرآنية السابقة : فان قلت قد شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقدا نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه بالتمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق . قلت لقائل أن يقول شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات

---

(١) راجع الكشاف (١ : من ٢٠٨ الى ٢١٣) .
(٢) سورة البقرة : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفار من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى . أو كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم سماء على هذه الصفة فلقو منها ما لقوا . فان قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات ؟ وهلا صرح به ، كما فى قوله تعالى : وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء .. وفى قول امرىء القيس ..

كأن قلوب الطيور طبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

قلت كما جاء صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى : وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج : ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل .

الى أن قال : فان قلت أى التمثيلين أبلغ قلت : الثانى لأنه دل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون الى الاغلظ (١) .

هذا ما قاله الزمخشرى فى هذه القاعدة وأمثلتها ومن يوازن بين ما قاله الامام الزركشى فيها وما قاله الزمخشرى يدرك أن الزركشى قد أفاد من الزمخشرى افادة كاملة ولم يضف اليها جديدا .

هذا وقد ذكر الامام الزركشى هذه القاعدة الأولى فى موطن آخر من كتابه ويبدوا تأثره أوضح بالزمخشرى فى هذا الموطن لأنه استخدم طريقة الزمخشرى وهى طريقة السؤال والجواب : فان قلت .. قلت (٢) .

---

(١) راجع الكشاف (١ : من ٢٠٨ الى ٢١٣) .
(٢) راجع البرهان فى علوم القرآن (١ : ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

القاعدة الثانية

مراتب التشبيه

بين الامام الزركشى فى هـــذه القـــاعدة أن أعلى مراتب التشبيه ترك وجه الشبه وأداته مثل زيد أسد ـ أما ترك وجهه وحـــده مثل · زيد كالأســـد ـ أو ترك أداته وحدها مثل · زيد الأسد شـــدة · فقد نقل عن صـاحب المفتاح « السكاكى » ما يشير الى أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك أداته وذلك لعموم وجه الشبه ·

ثم نقل عن صاحب « ضوء الصباح (١) » أنه يخالف السكاكى فيما قاله من عموم وجه الشـــبه · لأنه اذا عم واحتمل التعدد ولم تبق دلالته على به الاشـــتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم فيتحمل أن يكون ما به الاشتراك صـــفة ذم لا مدح وهو غيـــر لازم فى ترك الادارة الا أن يقال : يلزم مثله من تركها لأن قرينة ترك الاداة تصرف ارادة المدح دون الذم (٢) ·

هذا ما قاله الامام الزركشى فى هذه القاعدة · ولقد ظهر لى أن الامام الزركشى لم ينقل ما قاله السكاكى فى جميع مراتب التشبيه ولم يشر الا لما قاله السكاكى من أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك الاداة لعموم وجه الشـــبه وبالرجوع الى المفتاح تبين لى أن السكاكى جعل مراتب التشبيه ثمان ·

---

(١) صاحب هذا الكتاب هو محمد بن عبد الرحمن المراكشى الضرير النحوى · واسم الكتاب ضوء الصباح على ترجيز المصباح · وكتاب المصباح فى اختصـار المفتاح لمحمد بن محمـــد بن عبد الله ابن مالك ـ راجع كشف الظنون (٢ : ١٠٨٩ ، ١٧٠٧) ·

(٢) راجع القاعدة الثـــانية فى البرهان فى علوم القـــرآن. (٣ : ٤٢٤ ، ٤٢٥) ·

١ ـ ذكر أركانه الاربعة وهى المشبه والمشبه به ووجه الشبه والأداة مثل : زيد كالأسد فى الشجاعة ـ ولا قوة لهذه المرتبة ٠

٢ ـ ترك المشبه كقولك : كالأسد فى الشجاعة ـ وهى كالأولى فى عدم القوة ٠

٣ ـ ترك كلمة التشبيه كقولك : زيد أسد فى الشجاعة ـ وفيها نوع قوة ٠

٤ ـ ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك أسد فى الشجاعة فى موضع الخبر عن زيد ـ كالثالثة فى القوة ٠

٥ ـ ترك وجه التشبيه كقولك : زيد كالأسد : وهى أيضا قوية لعموم وجه الشبه ٠

٦ ـ ترك المشبه ووجه التشبيه كقولك : كالأسد فى موضع الخبر عن زيد وحكمها كحكم الخامسة ٠

٧ ـ ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه كقولك : زيد أسد وهى أقوى الكل ٠

٨ ـ افراد المشبه به فى الذكر كقولك : أسد فى الخبر عن زيد وهى كالسابقة (١) ٠

من هذا العرض لمراتب التشبيه عند السكاكى يظهر لنا أن الامام الزركشى لم يذكر سوى تعليل السكاكى لابلغية الصورة الخامسة التى يترك فيها وجه الشبه مثل زيد كالأسد ٠ وذلك لعموم وجه الشبه هذه الصورة أبلغ

---

(١) مفتاح العلوم (٢٥٥) ٠

من الصورة الثالثة التى تترك فيها أداة التشبيه مثل زيد أسد فى الشجاعة ـ وان كان فى هذه الصورة نوع قوة ٠

أما بقية مراتب التشبيه عند السكاكى فلم يتعرض لها ولم يشر الى ما قاله فيها ٠

أمثلة توضيحية لهذه القاعدة وبيان وجه أبلغيتها :

اذا أردت ان اصف محمدا بالجود والسخاء فاننى استخدم هذه الأساليب للتعبير عن هذا المعنى فاقول :

١ ـ محمد كالبحر فى الجود ٠

٢ ـ محمد بحر فى الجود ٠

٣ ـ محمد كالبحر ٠

٤ ـ محمد بحر ٠

هذه التعبيرات الاربعة تختلف قوة وضعفا فى التعبير عن المعنى المراد وهو وصف محمد بالجود والعطاء ٠

ـ فالمثال الأول يحقق أصل المبالغة التى يفترق بها أسلوب التشبيه عن أسلوب الحقيقة ٠ والمثالين الثانى والثالث يزيدان هذه المبالغة قوة ـ والمثال الرابع يضاعف هذه المبالغة الى أبعد حد مع ملاحظة أن حذف المشبه فى أى صورة من هذه التعبيرات الاربعة لا يؤثر شيئا بالزيادة أو النقص فيما تفيده من مبالغة ولا يخرجها عن مرتبتها التى وضعت فيها ٠٠ اذا كان الأمر كذلك ـ فمن أين جاء هذا الاختلاف ؟

ان هذا الاختلاف فى افادة أصل المبالغة أو تقويتها أو مضاعفة هذه القوة يرجع الى ان هذه التشبيهات تنوعت فى الصيغة اللفظية الدالة عليها .

ففى التعبير الأول وهو - محمد كالبحر فى الجود فى الجود - ذكرت أركان التشبيه جميعها فى اللفظ وأصبحت دلالتها على التشبيه لفظية محضة وصريحة لا مجال فيها التخيلات العقل وتوهماته وأفادت أصل المبالغة التى يحققها كل تشبيه الحق فيه الناقص فى وجه الشبه بالكامل فيه .

وفى التعبير الثانى : وهو محمد بحر فى الجود : حذفت أداة التشبيه وحكم بالمشبه به على المشبه وبهذا الحذف افسح للعقل مجال التوهم بأن المشبه والمشبه به شىء واحد واذا كانا شيئا واحدا كان مقدار الصفة فيهما واحدا فجاءت قوة المبالغة .

وفى التعبير الثالث : وهو - محمد كالبحر - حذفت وجه الشبه ليترك للعقل مجال التوهم بأن المشبه والمشبه به يتحدان فى جميع الصفات - ان كان المقصود اجتماعهما فى صفة واحدة - واذا اتحدا فى جميع الصفات كانا شيئا واحدا ومن هنا جاءت قوة المبالغة .

وفى التعبير الرابع : وهو محمد بحر - حذف الوجه والأداة معا فأوهمك بحذف الأداة اشتراكهما فى جميع الصفات وأوهمك بحذف الثانى وحدة المشبه والمشبه به به ومن هنا تضاعفت قوة المبالغة لأن الزيادة فى المبالغة اذا جاءت من طريقين كانت أكثر قوة من الزيادة التى تجىء من طريق واحد ولهذا يسمى البلاغيون هذا النوع

بالتشبيه البليغ باعتباره ما يفيده من المبالغة المضاعفة (١) .

لعل فى ذكر هذه الأمثلة وتوضيحها وبيان وجه أبلغيتها ما يكمل الذى بدأه الامام الزركشى وبذلك يكون البناء قد كمل وارتفع شامخا .

القاعدة الثالثة :

دخول أداة التشبيه على مشبه به مقدر

يقوم الامام الزركشى موضحا هذه القاعدة : قد تدخل الأداة على شىء وليس هو عين المشبه به ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب ، كما قال تعالى : كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم (٢) . الآية : المراد كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى اذ قالوا (٣) .

هذا ما قاله الامام الزركشى فى بيان هذه القاعدة ولقد تساءل الزمخشرى عن صحة التشبيه فى الآية فقال: فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهرة تشبيه كونهم أنصار بقول عيسى صلوات الله عليه - من أنصارى الى الله ؟ قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم - من أنصارى الى الله (٤) .

ويتأثر الخطيب القزوينى بالزمخشرى فى تقدير

---

(١) الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان بتصرف (١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) .

(٢) سورة الصف : ١٤ .

(٣) راجع هذه القاعدة فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٥) .

(٤) الكشاف (٤ : ١٠١) .

المشبه به المحذوف فى الآية فيقول : المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله (١) ٠

ويرى الاستاذ الدكتور الحجار ـ أن المعنى لا يستقيم « فى الآية » الا بتقدير محذوف اذا لا شبه بين كون المسلمين أنصارا وبين عيسى وانما الشبه بين كونهم أنصارا للنبى وكون الحواريين أنصارا لعيسى فوجب أن يكون تقدير الآية ٠ كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله (٢) ٠

والخلاصة أن جميع هؤلاء العلماء انفقوا على أن الأداة لم يقع بعدها المشبه به فى اللفظ ولذلك وجب تقديره ٠

فالامام الزركشى يقدره بقوله : كونوا أنصار الله ٠٠ كشأن مخاطبى عيسى اذ قالوا والزمخشرى يقدره بقوله: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله ٠

والخطيب القزوينى يقدره بقوله : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله ٠

والدكتور الحجار يقدره بقوله : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله ٠

وليس هناك اختلاف كبير بين هؤلاء العلماء

---

(١) بغية الايضاح (٣ : ٣٧) ٠

(٢) الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان (٦٠) ٠

الاجلاء فى تقدير المشبه به المحذوف فى الآية الكريمة ٠

القاعدة الرابعة :

شرط وجه الشبه

قال الامام الزركشى : اذا كانت فائدته « أى التشبيه » انما هى تقريب الشبه فى فهم السامع وايضاحه له فحقه أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم والقصد بالأدنى على الأعلى مثل قياس النحوى ولا سيما اذا كان الدنو جدا أو المعلو جدا وعليه بنى المعرى قوله :

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك
وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

وقول آخر :

كالبحر والكاف أنى ضفت زائدة
فيه فلا تظنها كاف تشبيه

ثم أجاب عن بعض الآيات القرآنية التى ظاهرها خلاف هذه القاعدة من هذه الآيات قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة (١) ٠ فيمكن أن يكون المشبه به أقوى لكونه فى الذهن أوضح ، اذ الاحاطة به أتم ٠

افادة الزركشى من الزملكانى فى بيان صحة التشبيه فى الآية الكريمة ـ مثل نوره كمشكاة :

من يقرأ ما قاله الشيخ كمال الدين الزملكانى فى كتابه البرهان وهو يتحدث عن المشبه به وليس يشترط

---

(١) سورة النور : ٣٥ ٠

فيه ان يكون أقـــوى . يدرك تمـــام الادارك أن الامام الزركشى قد أفاد منه ولنستمع الى الزملكانى وهو يقول: البحث الثانى فى المشبه به - ليس بمشترط أن يكون أقوى بدليل قوله تعالى : مثل نوره كمشـكاة فيها مصـــباح : وقولهم فى الصبح كأنه غرة الفرس . من جهة حصـــول بياض فى سواد - ويمكن ان يجعل المشبه به أقوى لكونه فى الذهن أوضح اذا الاحاطة به أتم (١) .

فقول الزملكانى . يمكن أن يجعل المشـــبه به أقوى لكونه فى الذهن أوضح اذ الاحاطة به أتم - هذه العبارة أفاد منهـا الامام الزركشى وعلل بهـا صحـة التشبيه فى الآية الكريمة .

كذلك من الآيات التى ظاهرها خـلاف هذه القاعدة قوله تعالى : ان مثل عيسى عنـــد الله كمثل آدم (٢) . فالتشبيه فى الآية من تشـبيه الغريب بالأغرب لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس وفيه دليل على جواز القياس وهو رد فرع الى أصل لشبه ما لأن عيسى رد الى آدم لشـــبه بينهما والمعنى أن آدم خلق من تراب ولم يـكن له أب ولا أم فكذلك خلق عيسى من غير أب .

ويتساءل الزمخشرى عن صـحة التشـــبيه فى الآية الكريمة السابقة فيقول : فان قلت كيف شبه به وقد وجـد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم ؟. قلت هو مثيله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيه به لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصـــاف ولأنه شـــبه به فى أنه وجد وجودا خارجا عن العـــادة

---

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن (١٢٦) .
(٢) سورة آل عمران : ٥٩ .

المستمرة وهما فى ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب واحرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه (١) .

هذا ما قاله الزمخشرى فى الآية الكريمة - ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . فهى من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون اقطع للخصم واحسن لمادة شبهته .

وأما قوله تعالى : كأنهم خشب مسندة (٢) . فقد شبههم بالخشب لأنه لا روح فيها وبالمسندة لأنه لا انتفاع بالخشب فى حال تسنيده .

ويلاحظ أن الامام الزركشى فى هذه الآية قد لاحظ القيد الموجود فى المشبه به وهو وصف الخشب بأنها مسندة والقيود لها دلالتها فى التشبيه فهى تجعل الصياغة تعبر تعبيرا دقيقا عن الغرض المسوق له الكلام وتفيد المعنى قوة وتمكنا فى نفس السامع ولنستمع الى الزمخشرى وهو يبين قيمة وصف المشبه به فى الآية الكريمة السابقة : يقول : فان قلت ما معنى قوله تعالى : كأنهم خشب مسندة : قلت شبهوا فى استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولأن الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع (٣) .

---

(١) الكشاف (١ : ٤٣٣) .
(٢) سورة المنافقين : ٤ .
(٣) الكشاف (٤ : ١٠٩) .

وخلاصة هذه القاعدة (١) · أن وجه الشبه فى المشبه به يجب أن يكون أوضـــح وأتم لأن الغرض الأساسى من التشبيه هو الايضاح وتقريب الشـــبه فى فهم الســـامع وايضاحه له · ولذلك عاب البلاغيون قول البحترى :

على باب قنسرين والليل لاطخ
جوانبـــه من ظلمة بمداد

فانه رب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشـــدته أحق وأحرى أن يشبه به ولهذا قال ابن الرومى :

حبر أبى حفص لعاب الليل
يسيل للاخوان أى سيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شـبهه بالليل · فكأنه نظر الى قول العـــامة فى الشىء الاســـود « هو كالنقس » « أى الحبر » ثم تركه للقافية الى المداد (٢) ·

القاعدة الخامسة :

دخول أداة التشبيه على المشبه به أو المشبه

يرى البلاغيون أن الأصل فى الكاف ، ومثل ، وشبه وغيرها من الألفاظ التى يقع بعدها المفرد أن يليها المشبه به اما لفظـــا كقولك ليل كموج البحر ·· وأكفهم مثـــل الســـحاب ·· وأما تقديرا كقوله تعـــالى : أو كصيب من السماء ·· فالمشـبه به فى الآية محذوف تقديره · كمثل ذوى صيب ·· وقد تدخل الكاف فى التشـبيهات المركبة

---

(١) راجع هذه القـــاعدة فى البرهان فى علوم القـــرآن (٣ : ٤٣٥ ، ٤٢٦) ·

(٢) راجع الايضاح (٢٣٨ ، ٢٣٨) ·

على مفرد لا يتأتى التشبيه به ولكن له اتصـــال وثيق بالمشـبه به كقوله تعالى : انما مثل الحيـــاة الدنيا كماء انزلناه من السـماء فاختلط به نبـــات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها مرنا ليلا أو نهـارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ٠

المشـــبه :

هو حال الحياة الدنيا فى سرعة زوالهـــا وانقراض نعيمها بعد اقبالها واعتدار الناس بها وركونهم اليها :

والمشبه به :

هو حال نبـــات الأرض ذهبت نضرته فجـأة فجف وصار حطـــاما بعدما زها والتف وتكاثف وزين الأرض بخضرته وعم نفعه الانسان والحيوان واطمأن الناس الى دنو ثمرته وظنوا أنه قد سلم من الجوانح ٠

ووجه الشبه :

هو الهيئة الحاصـــلة من سرعة الزوال وانقراض النعيم بعـد الاقبال وعموم النفع واعتـداد الناس به ، واعتمادهم عليه ٠

فالكاف فى هذه الآية لم تدخل على المشـــبه به فى اللفظ وانما دخلت على مفرد هو الماء الذى يكون عنصرا هاما من عناصر المشـبه به فالنبات لا يحيا الا بالمـــاء : وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون :

أما كأن ، ويشـــابه ، ويماثل . فالأصـــل من هذه الأدوات أن يليهـــا المشـــبه . مثل قوله تعـــالى : كأنهن الياقوت والمرجان : فضمير النسوة وقع مشبها وما بعده وقع مشبها به (١) .

هذا ما قرره البلاغيون فى دخول أداة التشبيه على على المشـــبه به أو المشبه ولنســـتمع الى ما قاله الامام الزركشى فى ذلك قال : الأصل دخول أداة التشـبيه على المشبه به وهو الكامل كقولك ليس الفضة كالذهب وليس العبد كالحر .

وقد تدخل على المشبه لأسباب :

١ ـ منها وضوح الحال : كقوله تعالى : وليس الذكر كالانثى (٢) . فان الأصل وليس الانثى كالذكر . وانمـــا عدل عن الأصل : لأن معنى « وليس الذكر » الذى طلبت. « كالانثى » التى وهبت لها لأن الانثى أفضل منه : وقيل: لمراعاة الفواصل لأن قبله : انى وضعتها انثى : ثم قال : ووهم ابن الزملكانى فى البرهان حيث زعم أن هـذا من التشبيه المقلوب وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى :

رأى الزملكانى فى دخول الاداة على المشبه فى قوله تعالى : وليس الذكر كالانثى :

يرى الامام الزركشى ان الزملـكانى وهم حيث زعم أن الآية من وادى التشبيه المقلوب لأن ذلك يتعارض مع المعنى الذى ذكره فى الآية وهو أنه ليس الـــذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها لأن الانثى أفضـــل منه .

---

(١) راجع البلاغة التطبيقية (٢٧ ، ٢٩) والافصـــاح عمـــا تضمنه من مباحث البيان (٦٠ ، ٦١) .

(٢) سورة آل عمران .

هذا ما نقلـه الامام الزركشى عن الزملكانى فى البرهان وبالرجوع الى كتاب البرهان تبين لى أن الزملكانى رأى أنه لو قيل فى الآية وليس الأنثى كالذكر لصح ولكن يفوت التسجيع وهو مراعاة قوله تعالى : قالت رب انى وضعتها انثى (١) . ولتستمع الى الشيخ كمال الدين عبد الواحد الزملكانى يوضح هذا الرأى فى الآية قائلا : اذا اتضـح تباين الشيئين وشـبه احدهما جاز اذا نفيت الشـبه أن تدخل كاف التشبيه على المشبه به وعلى المشـبه والأول أقيس لمطابقته الاثبات ومن الثانى قوله تعـالى : وليس الذكر كالانثى : ونحوه ليس الاسد كزيد ـ ولوقيل : وليس الانثى كالذكر ، لصح ولكن يفوت التسجيع وهو مراعاة قوله تعالى : قالت رب انى وضعتها انثى(٢) .

من هذا النص للزملكانى يمـكن أن نقول ان الامام الزركشى قد أفاد منه فى هذه القـاعدة فقول الزملكانى : قد تدخل أداة التشبيه على المشـبه به وهو الكامل كقولك الفضة كالذهب .. الـخ هذا هو معنى قول الزملكانى : اتضح تباين الشـيئين « أى اختلافهما » جاز اذا نفيت الشبه أن تدخل كاف التشبيه على المشبه به وعلى المشبه والأول أقيس : فمعنى قوله والأول أقيس : هـو نفس معنى قول الزملكانى وهو الكامل : وأيضا قول الزركشى فى تعليل وقوع المشـبه بعد الكاف فى الآية الـكريمة : وقيل لمراعاة الفواصل لأن قبله « انى وضـعتها أنثى » القائل بذلك هو الزملكانى ، كما هو واضح فى نصـه السابق .

وأيضـا قول الزركشى نقـلا عن الزملـكانى فى البرهان أن الآية من وادى التشبيه المقلوب ربما استنبط

---

(١) سورة آل عمران : ٣٦ .

(٢) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن (١٣١ ، ١٣٢) .

هذا من قول الزملكانى : الا أنه لو قيـــل وليس الانثى كالذكر لصح الأسلوب ولكن يفوت مراعاة الفاصلة (١) ٠

هذا هو السبب الأول فى دخول أداة التشـبيه على المشبه « وهو وضوح الحال » ٠

أما السبب الثانى :

فهو قصد المبالغة ٠ ويوضـح ذلك الزركشى قائلا : ومنها : قصد المبالغة فيقلب التشبيه ويجعل المشبه هـو الأصل ويسمى تشبيه العكس لاشتماله على جعل المشـبه مشبها به والمشبه به مشـبها كقوله تعـــالى : قالوا انما البيع مثل الربا (٢) ٠ كان الأصـل أن يقولوا : ان الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع لكن عدلوا عن ذلك وتجرءوا اذ جعلوا الربا أصـــلا ملحقا به البيع فى الجواز وأنه الخليق بالحل ٠

ويحتمل أن يكون المراد الزام الاسلام فيحرم البيـع قياسا على الربا لاشتماله على الفضل طردا لأصلهم وهو فى المعنى نقضى على علة الضحريم ويؤيده قوله تعالى: وأحل الله البيع وحرم الربا ٠ وفيه اشارة الى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرض لاجرائها على قانون واحـــد وأن الاسرار الالهيه كثيرا ما تخفى وهو أعلم بمصالح عباده فيسلم له عنان الانقياد وأنهم جعلوا ذلك من باب الزام الجدلى وجاء الجواب بفك الملازمـة وأن الحـكمة فرقت بينهما ٠ وفيه أبطال القيـــاس فى مقابلة النص ٠

---

(١) راجع البرهان فى علوم القـرآن (٣ : ٤٢٦) والبرهان الكاشف عن اعجاز القرآن (١٣١ ، ١٣٢) ٠

(٢) سورة البقرة : ٢٧٥ ٠

افادة الزركشى من الزملكانى فى بيان التشبيه فى قوله تعالى : انما البيع مثل الربا :

لو وازنا بين ما قالـــه الامام الزركشى فى بيـــان التشبيه المعكوس أو المقلوب فى قوله تعالى : انما البيع مثل الربا : وبين ما قاله الزملكانى فى بيان ذلك لأدركنا ادراكا لاشـــك فيه أنه قد تأثر بالزملكانى وأفاد منه بل نجده قد أخذ معظم تعبيراته فى بيان التشبيه المعكوس فى الآية الكريمة : واليك ما يثبت ذلك . قال الزملكانى: وأما قوله تعالى : ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا: فجرأة منهم اذ جعلوا الربا أصـلا ملحقا به البيـــع فى الجواز وأنه الخليق بالحل . ويجوز أنيكون المراد الزام الاسلام بتحريم البيع قياسـا على الربا لاشـــتماله على الفضـل طردا لأصـــلهم وهو فى المعنى نقض على علة التحريم ويؤيده قوله تعـــالى : وأحل الله البيع وحرم الربا : اذ فيه اشـــار الى أن الواجب اتبـــاع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرض لاجرائها على قانون واحد فان الاسرار الالهيه كثيرا ما تخفى وهو أعلم بمصالح عباده فيسلم اليه عنان الانقياد (١) .

من يقرأ هـــذا النص للزملكانى ويقـــرأ ما كتبـــه الزركشى فى بيان التشـبيه المقلوب فى قوله تعـــالى : انما البيع مثـل الربا : يدرك بســـهولة تأثر الزركشى بالزملكانى وافادته منه افادة تامة : كذلك من تشـــبيه العكس عنـد الزركشى قوله تعـــالى : أفمن يخلق كمن لا يخلق (٢) . فان الظاهر العكس لأن الخطـــاب لعبدة الاوثان وسموها آلهه تشبيها بالله ســـبحانه وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا

---

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن (١٣٢) .
(٢) سورة النحل : ١٧ .

فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة والخالق سـبحانه فرعا .. والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق « بالخالق » خوطبوا بأشد الالزامين وهو تنقيص المقدس لا تقديس الناقص .

هذا ما قاله الزركشى فى بيان التشبيه المعكوس فى هذه الآية ثم ذلك تقل عن السـكاكى قوله فى المفتاح : وعندى ان المراد بمن لا يخلق . الحى القادر من الخلق تعريضا بانكار تشبيه الاصنام بالله تعـالى : من طريق الأولى . ثم قال : وجعل منه قوله تعـالى : افرأيت من اتخذ الهه هواه : بدل هواه الهه . فانه جعـل المفعول الأول ثانيـا والثانى أولا للتنبيه على أن الهوى أقـوى وأوثق عنده من الاهه (١) .

كذلك من تشبيه العكس عند الزركشى قوله تعالى : افنجعل المسلمين كالمجرمين (٢) . وقوله تعـالى : أم نجعل المتقين كالفجار (٣) . قال : فان بعضهم أورد ان

---

(١) لقد اختصر الزركشى كلام السكاكى فى هذه الآية الكريمة ونصه « ومن الأمثلة » المراد امثلة التشبيه المقلوب » قوله تعالى : أفمن يخلق كمن لا يخلق مع اقتضاء المقام بظاهرة اياه لكونه الزاما للذين عبدو الاوثان . وسموها آلهه تشبيها بالله تعالى فقـد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وعندى أن الذى تقتضيه البلاغة القرآنية هو ان يكون المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق لا الاصنام وان يكون الانكار موجها الى توهم تشبيه الحى العالم القـادر من الخلق به تعالى : وتقدس عن ذلك علوا كبيرا تعريضـا به عن ابلغ الانكار لتشبيه ما ليس بحى عالم قادر به تعالى : ويـكون قوله : افلا تذكرون : تنبيه توبيخ على مكان التعريض وقوله عز وجـل : ارأيت من اختذ آلهه هواه : بدل ارايت من اتخذ هواه آلهه مصبوب فى هذا القالب فأحسن التأمل تر التقديم قد أصاب شاكلة الرمى « مفتـاح العلوم » ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢) سورة القلم غ ٣٥ .

(٣) سورة ص : ٢٨ .

أصل التشبيه « أن » يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : افنجعل المجرمين كالمسلمين والفجار كالمتقين . فلم خولقت القاعدة ؟ ويقال فيه وجهان :

احدهما : أن الكفار كانوا يقولون نحو نسود فى الآخرة ، كما تسود فى الدنيا ويكونو اتباعا لنا فكما أعزنا الله فى هذه الدار يعزنا فى الآخرة فجاء الجواب على معتقدهم أنهم أعلى وغيره أدنى (١) .

الثانى : لما قيل قبل الآية : وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (٢) : أى يظنون أن الأمر يهمل لا حشر ولا نشر أم لم يظنوا ذلك ولكن يظنون أنا نجعل المؤمنين كالمجرمين والمتقين كالفجار .

هذا ما قاله الامام الزركشى فى هذه القاعدة (٣) . وامثلتها وبدا واضحا تاثره بالسكاكى والزملكانى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام .

---

(١) هذا الجواب لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام . راجع الفوائد فى مشكل القرآن (٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٢) سور ص : ٢٧ .

(٣) راجع هذه القاعدة فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : من ٤٢٦ الى ٤٢٩) .

القاعدة السادسة :

التشـبيه فى المدح والذم

يرى الامام الزركشى أن التشبيه فى المدح يشبه فيه الأدنى بالأعلى فيقال تراب كالمسك وحص كالياقوت : أما التشبيه فى الذم فيشبه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى ظاهر عليه فيشبه به فى السلب ومنه قوله تعالى : يا نساء النبى لستن كأحد من النساء (١) : أى فى النزول لا فى العلو : ومنه قوله تعالى : أم نجعل المتقين كالفجار (٢) : أى فى سوء الحال : وفى الذم أيضا يقال : مسك كالتراب وياقوت كالزجاج (٣) .

القاعدة السابعة :

دخول أداة التشـبيه على لفظ محذوف

يرى الامام الزركشى أن أداة التشبيه قد تدخل على لفظ وهو محذوف وذلك كقوله تعالى : ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع (٤) : فان التقدير ومثل واعظ الذين كفروا : فالمشبه الواعظ . والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للاغنام وهى لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه وانما وقع التشبيه على الغنم التى ينعق بها الراعى ويمد صوته اليها .

---

(١) سور الاحزاب : ٣٢ .

(٢) سورة ص : ٢٨ .

(٣) راجع هذه القاعدة فى البرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٩) .

(٤) سورة البقرة : ١٧١ .

تاثره بالشريف المرتضى فى هذه القاعدة :

لقد أشار الامام الزركشى الى أنه أفاد من الشريف المرتضى وهو يبين وجه تشبيه الذين كفروا بالصائح بالغنم فى الآية الكريمة السابقة .

هذا وقد استهل الشريف المرتضى بحثه فى هذه الآية بهذا السؤال : أى وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متأملا محصلا ؟.

أجاب الشريف المرتضى على هذا السؤال بأنه يقال فى هذه الآة خمسة اجوبه :

الجواب الأول :

وقد جعله الامام الزركشى بمثابة التمهيد للأجوبة الاربعة التالية بينما جعله الشريف المرتضى جوابا مستقلا بذاته كذلك اختصر الامام الزركشى هذا التمهيد اختصارا شديدا بينما افاض فيه الشريف المرتضى ولنبين ذلك بذكر الجواب الأول عند الشريف المرتضى وهو التمهيد عند الامام الزركشى : قال الشريف المرتضى : يقال فى هذه الآية : خمسة أجوبة :

أولها :

أن يكون المعنى : مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه . والذين كفروابهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبى صلى الله عليه وآله دعاءه وانذاره فينصرفون عن

قبول ذلك ويعرضـون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشـتراكهما فى عدم الانتفـاع به . وجائز أن يقوم قوله ـ والـذين كفروا ـ مقـام الواعظ والداعى لهم ، كما تقول العرب ـ فلان يخـافك خوف الأسد والمعنى كخوفه إلأسد فأضاف الخوف الى الأسـد وهو فى المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر :

فلست مسلما ما دمت حيا
على زيد بتسليم الأميـر

أراد بتسليمى على الأمير ونظائر ذلك كثيرة :

هذا هـو الجواب الأول للشريف المرتضى والـذى جعله الامام الزركشى بمثابة التمهيد للاجوبة الاربعـة التى نقلهـا عن الشريف المرتضى والذى قال فيه : فان التقدير : ومثـل واعظ الذين كفروا . فالمشـبه الواعظ والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للاغنام وهى لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه.

هذا هو التمهيد للاجوبة الاربعـة عنـد الزركشى والجواب الأول عند الشريف المرضى وبعـد ذلك نعرض لما قاله الامام الزركشى نقلا عن الشريف المرتضى . قال الزركشى : وفيه وجوه :

أحـدها :

أن المعنى : مثـل الذين كفروا كمثل الغنم لا تفهم نداء الناعق فأضاف المثل الى النـاعق وهو فى المعنى للمنعوق به على القلب .

ثانيهـا :

ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك كمثل الذين ينعق.

أى مثلهم فى الاعراض ومثلنا فى الدعاء والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول كقوله : سرابيل تقيكم الحر (١) .

وثالثها :

أن المعنى ومثل الذين كفروا فى دعائهم للاصنام وهى لا تعقل ولا تسمع كمثل الذى ينعق بما لا يسمع وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بينعق و - لا - توكيد للكلام ومعناها الالغاء .

ورابعا :

ان المعنى ومثل الذين كفروا فى دعائهم للاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الراعى الذى ينعق بغنمه ويناديها فهى تسمع نداءه ولا تفهم معنى كلامه . فيشبه من يدعوه الكفار من المعبودات من دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب .. ثم قال : وهذا قريب من الذى قبله ويفترقان فى أن الأول يقتضى ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة ويجب صرفه الى غير الغنم وهذا يقتضى ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة وان لم يفهمهما - والاصنام . من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها وناديها أسوأ حالا من منادى الغنم .

هذا ما قاله الامام زركشى فى هذه الأوجه الاربعة نقلا عن الشريف المرتضى ويلاحظ أنه قد اختصر تلك الاجوبة ولم يعلق عليها بل اكتفى بهذا الاختصار الشديد (١) .

---

(١) سورة النحل : ٨١ .

(١) راجع هذه الاجوبة فى أمالى المرتضى (١ : من ٢١٥ الى ٢١٨) والبرهان فى علوم القرآن (٣ : ٤٢٩ ، ٤٣٠) .

كذلك مما دخلت أداة التشبيه فيه على لفظ محذوف قوله تعـــالى : كمثل ريح فيهـــا صر (١) . قال الامام الزركشى : وانما وقع التشبيه على الحرث الذى اهلكته الريح - قيل فيه اضـــمار . أى مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريـــح قال ثعلب : فيه تقـــديم وتأخير أى كمثل قوم ظلموا أنفسهم اصابة ريح فيها صر فأهلكته .

وأما قوله تعالى : ومن النـــاس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله (٢) . فان التقدير : كما يحبَ المؤمنون الله قال : وحذف الفاعل لأنه غير ملتبس واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك . فان المعنى حاصـل بتقديره مبنيا للفـــاعل : واجيب بأنه تقدير معنى لكن محافظة على اللفظ فلا يقدر الفاعل اذ الفـاعل فى باب المصدر فضله فلذلك جعله كذلك فى التقدير (٣) .

وبعد فهذه مباحث التشـــبيه عند الامام بدر الدين الزركشى . ارجو من الله عز وجل أن يكون قـــد وفقنى فى عرضها وتحليلها ورد الآراء ما أمكن الى اصـــحابه ومن الله وحدة اسأله الســـداد فى الرأى والتوفيق فى العمل والنجاح فى المسعى انه سميع قريب من عبـــاده العاملين المخلصين .

د. عبد الحميد احمد محمد على
المدينة المنورة
فى شعبان ١٤٠٤ هـ

---

(١) سورة آل عمران : ١١٧
(٢) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٣) راجع القاعدة السـابعة وامثلتهـا فى البرهان فى علوم القرآن (٣ من ٤٢٩ الى ٤٣١) ..

المصـــادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا :

١ ـ الايضاح فى علوم البلاغة ـ الخطيب القزوينى ـ تحقيق لجنة من اســـاتذة كلية اللغة العربيـــة باشراف فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعـة السنة المحمدية ٠

٢ ـ آمالى المرتضى ـ الشريف المرضـى ـ تحقيـــق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت لبنان ٠ ط ٢ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ٠

٣ ـ اعلام الساجد بأحكام المســـاجد ـ الامام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى الراغى ـ لجنة أحياء التراث ـ المجلس الأعلى للشـئون الاسلامية ـ الكتاب الخامس ـ القاهررة ١٣٨٤ هـ ٠

٤ ـ الاشارة الى الايجـــاز فى بعض أنواع المجاز ـ عز الدين بن عبد السلام ـ مطابع دار الفـكر بدمشق ـ الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ٠

٥ ـ الافصاح عما تضمنه الايضاح من مباحث البيان ـ أد٠ احمد محمـد الحجـــار ـ دار الاتحـــاد العربى للطباعة ٠

٦ ـ اسرار البيان ٠ أد٠ على العمارى ـ دار القومية العربية للطباعة ٠

٧ - البرهان فى علوم القرآن - الامام بدر الدين الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعرفة - بيروت ٠ لبنان ٠ط ٢ ٠

٨ - بغية الايضاح - عبد المتعال الصعيدى - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ٠

٩ - البلاغة التطبيقية ٠ أد٠ أحمد موسى - مطبعة المعرفة ٠ ط ١٩٦٣ م ٠

١٠ - البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن - الزملكانى - تحقيق د٠ خديجة الحديثى ود٠ أحمد مطلوب - ط ١ ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ٠

١١ - البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية - أد٠ محمد أبو موسى - دار الفكر العربى ٠

١٢ - التبيان فى علم البيان - الزملكانى - تحقيق د٠ احمد مطلوب ، ود٠ خديجة الحديثى - مطبعة العانى ٠ بغداد ٠ ط ٣ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م ٠

١٣ - ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن - الرمانى ٠ الخطابى ٠ عبد القاهر الجرجانى ٠ تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر ط ٣ ٠

١٤ - الجمان فى تشبهات القرآن - ابن ناقيا البغدادى - تحقيق د٠ مصطفى الصاوى الجوينى - منشأة المعارف بالاسكندرية ٠

١٥ - جوهر الكنز - نجم الدين الاثير الحلبى -

تحقيق محمـــد زغلول ســـلام ـ منشـــأة المعـــارف بالاسكندرية ٠

١٦ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقـــاهرة ـ السيوطى ـ تحقيق محمد أبو الفضـــل ابراهيم ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى ٠

١٧ ـ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القـــاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير ـ تأليف عبـــد الهادى المعدل ـ ضبط وشرح أ٠د ٠ عبد السلام سرحان ـ دار الفكر الحديث للطبع والنشر ٠

١٨ ـ شـذرات الذهب فى أخبـــار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلى ـ مكتبة القدسى بمصر ١٣٥١ هـ ٠

١٩ ـ الصـــحاح ـ الجوهرى ـ تحقيق أحمد عبـد الغفور عطار ـ ط ٢ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

٢٠ ـ الطراز ـ الامام يحيى العلوى ـ دار الـــكتب العلمية ـ بيروت لبنان ٠

٢١ ـ العمدة ـ ابن رشيق القيروانى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ط ٣ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠

٢٢ ـ الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان٠ ابن القيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠ لبنان ٠

٢٣ ـ فوائد فى مشكل القرآن ـ عز الدين بن عبـد السلام ٠ تحقيق د٠ سيد رضوان البندوى ـ دار الشروق بجده ـ ط ٢ ٠

٢٤ - القاموس المحيط - الفيروزا بادى - المكتبة التجاررية بمصر - مؤسسة فن الطباعة ٠

٢٥ - الكامل فى اللغة والأدب - المبرد - المكتبة التجارية بمصر - مطبعة حجازى ١٣٦٥ هـ ٠٠

٢٦ - الكشاف - الزمخشرى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ٠ لبنان ٠

٢٧ - كشف الظنون - حاجى خليفه - عنى بطبعة وتصحيحه - محمد شرف الدين - منشورات مكتبة المثنى - بيروت ٠

٢٨ - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - ابن الاثير الجزرى - تحقيق د٠ احمد الحوفى ، ود ٠ بدوى طبانه ٠ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ٠ ط ١ - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ٠

٢٩ - محاضرات فى البيان العربى - أ٠د٠ يوسف البيومى - دار الطباعة المحمدية - ط ١ - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ٠

٣٠ - مفتاح العلوم - السكاكى - ضبط وشرح نعيم زرزور - دار الكتب العلمية بيروت ٠ لبنان ٠

٣١ - نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز - فخر الدين الرازى - ط ١٣١٧ ٠

٣٢ - النكت فى اعجاز القرآن - الرمانى - ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر ٠ط٠٣

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقـــــــــدمة	٣ ـ ١٢
التعريف بالامام بدر الدين الزركشى	١٣ ـ ٢٥
مباحث التشبيه عند الامام بدر الدين الزركشى	٢٦ ـ ١٠٣
المبحث الأول	٢٦ ـ ٣١
تمهيـــد : أهميـة التشـــبيه عنـــد الامام الزركشى ـ تأثره بالخطيب القزوينى	٢٦
تعريف التشبيه :	٢٧
ثلاثة تعريفات للتشبيه	
١ ـ التعريف الأول للامام الزركشى ـ نقد هذا التعريف	٢٧
٢ ـ التعريف الثانى لنجم الدين بن الأثير الحلبى ـ ملاحظة على هذا التعريف	٢٧
٣ ـ التعريف الثالث للمطرزى ـ العلوى ينقد هذا التعريف	٢٨
التعريف المختار للتشبيه هو تعريف العلوى صاحب الطراز شرح هذا التعريف	٢٩
التشبيه حكم اضافى لا يرد الا بين الشيئين	٣٠
تلخيـــــص	٣١
المبحث الثانى	٣٢ ـ ٣٩
الغرض من التشبيه	٣٢

الامام الزركشى لم يذكر سوى غرضين فقط من اغراض التشـــبيه ٣٢

افادة الزركشى من الزملـكانى والخطيب القزوينى فى الغرض الأول ٣٢

ابن القيم صاحب الغرض الثانى للتشبيه ٣٣

اغراض التشبيه بالتفصيل ٣٣

اولا : الأغراض التى تعود على المشبه ٣٤

ثانيا : الأغراض التى تعود على المشبه به ٣٨

بيان الغرض من التشبيه اجمالا ٣٩

المبحث الثالث ٤٠ - ٤٤

خلاف العلماء فى التشبيه

هل التشبيه حقيقة او مجاز ؟ ٤٠

الامام الزركشى يرى انه حقيقة نقـلا عن الزنجانى فى المعيـــار ٤٠

عز الدين بن عبد السلام يرى انه واسـطة بين الحقيقة والمجـــــاز ٤٠

آراء اخرى فى هذه القضية ٤٠

راى الامام يحيى العلوى ٤١

العلوى يرجح راى ابن الأثير على راى المطرزى ٤١

الموضـــــوع	رقم الصفحة
رأى ابن القيم	٤١
رأى ابن الأثير الجزرى فى المثل الســـائر	٤٢
رأى الامام فخر الدين الرازى	٤٢
رأى ابن الأثير الحلبى فى جوهر الكنز	٤٣
رأى ابن رشيق القيروانى	٤٣
خلاصـــة لهذا المبحث	٤٣
المبحث الرابع	٤٥ - ٥١
ادوات التشبيه	
تعريف الأداة	٤٥
اقسام الأداة : اسماء وافعال وحروف	٤٥
امثلة للأســـماء	٤٥
الأداة فى قوله تعـالى : مثـل الفريقين كالأعمى : هى الكاف وليست مثل كما قال بذلك الامام الزركشى	٤٦
المثل : استعارته للحال وللوصف وللقصة . شواهد على ذلك	٤٦
قوله تعالى : ان البقر تشابه علينا : ليس فى هذه الآية تشبيه لأن الفعل - تشابه - لازم . ومعناه - تساوى - او اختلط	٤٦
امثـلة للحروف - الحروف قسمان : بسيطة ، ومركبة	٤٧
الفرق بين الكاف - و - كان -	٤٨

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الامام الزركشى يذكر بعض هذه الفروق ولكن فى غير هذا المبحث	٤٩
المبحث الخامس	٥٢ - ٧٨
اقسام التشبيه	
التقسيم الأول	٥٢
التشبيه اما ان يكون باداة او بغيرها . والذى يكون باداة اما ان يدخل عليه حرف التشبيه فقط - او يضاف اليـه حرف مؤكد - أمثلة على ذلك	٥٢
اعتراض وجوابه	٥٣
تنبيهـــان	٥٤
التنبيه الأول : فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة	٥٤
رأى حـازم والرمانى فى الفـرق بينالتشـبيه البليغ والاستعارة	٥٤
اختلاف البيانيين فى قوله تعالى : صم بكم عمى	٥٤
ملاحظتـــــان :	٥٥
الأولى : ان الامام الزركشى لم يذكر جميع آراء العلماء فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة	٥٥
الثانية : ان الامام اختصر كلام الزمخشرى والسـكاكى فى الفرق بينهمـا	٥٥
ما مفهوم التشبيه البليغ والاستعارة ؟	٥٦
آراء العلماء فى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة	٥٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة
رأى أبى هلال العسكرى والغانمى وأبى الحسن والآمدى والخفاجى . لهم حجتان	٥٧
رأى القـاضى الجرجـانى وعبـــد القاهـر الجرجـانى والزمخشرى والسكاكى . أدلتهم	٥٧
ذكر رأى الزمخشرى والسكاكى من مصدريهما- الكشاف - المفتـــــاح	٥٩
التنبيه الثانى :	٦١
الامام الزركشى يتأثر بالزمخشرى فى بيانه للتشـبيه فى الآية الكريمة - حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر	٦٢
ملخص للتقسيم الأول	٦٣
التقسيم الثانى : أقسام التشبيه باعتبار طرفيه	٦٤
الطرفان اما حسـيان أو عقليـان أو الأول عقلى والثانى حسى أو بالعكس . أمثلة على ذلك	٦٤
بعض الملاحظات على هذا التقســـيم	٦٥
أولا : تأثره بابن القيم فى هذه الأقســـــام	٦٥
ثانيا : كان عليه أن يحدد مفهوم الطرفين	٦٦
ثالثا : كان عليه قبل أن يذكر أقسام التشبيه باعتبار طرفيه أن يحـــدد المفهـــوم الحسى وما يلحـــق به والعقلى وما يلحق به	٦٦
تقسيم للتشبيه باعتبار آخر - تأثره بالرمانى فى هـــذا التقسيم . الفرق بينهما	٦٩

الموضـــــوع	رقم الصفحة
التقسيم الثالث : التشـــبيه المفرد والمركب	٧٣
تعريف التشبيه المركب عند الزركشى . أمثلة على ذلك	٧٣
من تشبيه المفرد بالمركب قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة	٧٥
بعض الملاحظات على التقســيم الثالث	٧٥
المبحث السادس	٧٩ - ١٠٣
بعض القواعد فى مبحث التشبيه	٧٩
القاعـــدة الأولى :	٧٩
قد تشبه اشياء باشياء ثم تارة يصرح بذكر المشبهات وتارة لا يصرح بها بل تجىء مطوية على ســنن الاستعارة - شواهد لهذه القاعـــدة	٧٩
الامام الزركشى ينقل هذه القاعدة وامثلتها من الزمخشرى دون أن يضيف اليها جديدا	٨٠
القاعـــدة الثانيـة :	٨٢
مراتب التشـــبيه	٨٢
اعلى مراتب التشبيه ترك وجه الشبه وادواته مثل زيد أسد	٨٢
السكاكى يرى ان ترك وجه الشبه ابلغ من ترك الأداة	٨٢
صاحب ضوء الصباح يخالف السكاكى فى ذلك	٨٢
مراتب التشـــبيه عند الســكاكى	٨٣
أمثلة توضيحية لهذه القاعدة وبيان وجه ابلغيتها	٨٤

الموضـــــوع	رقم الصفحة
القاعـــدة الثالثـة :	٨٦
دخول اداة التشبيه على مشبه به مقدر	٨٦
قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين المشبه به ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب ، كقوله تعالى : كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم	٨٦
بيان المشبه به عند الزركشى فى الآية الكريمة السابقة	٨٦
بيان المشبه به عند الزمخشرى فى الآية الكريمة السابقة	٨٦
بيان المشبه به عند الخطيب القزوينى فى الآية الـكريمة الســـــــابقة	٨٧
بيان المشبه به عند د٠ الحجار فى الآية الكريمة السابقة	٨٧
ليس هناك اختلاف كبير بين هؤلاء العلمـاء فى تقدير المشبه به المحذوف	٨٧
القاعـــــدة الرابعـــة :	٨٨
شرط وجــه الشبه	٨٨
اذا كانت فائدة التشبيه انما هى تقريب الشــبه فى فهم السامع وايضاحه له فحقه أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم	٨٨
قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ يمكن أن يكون المشبه به أقوى لكونه فى الذهن أوضح اذ الاحاطة به أتم	٨٨
افادة الزركشى من الزملكانى فى بيان صحة التشبيه فى قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة	٨٨

الموضـــــوع	رقم الصفحة
قوله تعالى : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ـ من تشبيه الغريب بالأغرب	٨٩
ملاحظة الزركشى لوصف المشبه به فى قوله تعالى : كانهم خشب مسـنده	٩٠
خلاصـــة هذه القاعـــدة	٩١
القاعـــدة الخامســـة :	٩١
دخول أداة التشبيه على المشبه به أو المشبه	٩١
رأى البلاغيين	٩١
رأى الامام الزركشى	٩٣
الأصل دخـول الأداة على المشـبه به وقد تدخل على المشـبه لسـببين :	٩٣
١ ـ وضـوح الحـال ـ مثل قوله تعالى : وليس الذكر كالأنثى	٩٣
٢ ـ قصد المبالغة مثل قوله تعالى : انما البيع مثل الربا	٩٥
افادة الزركشى من الزملكانى فى بيان التشبيه فى قوله تعالى : انما البيع مثل الربا بعض الأمثلة للتشبيه المعكوس	٩٦
القاعـــدة السادســة :	٩٩
التشـــبيه فى المدح والذم	٩٩
التشبيه فى المدح يشبه فيه الأدنى بالأعلى وفى الذم يشبه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى ظاهر عليه أمثلة على ذلك	٩٩

الموضـــــوع	رقم الصفحة
القاعـــــدة الســـابعة :	٩٩
دخول أداة التشبيه على لفظ محذوف	٩٩
قد تدخل أداة التشبيه على لفظ وهو محذوف . كقوله تعالى : ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع فان التقدير - ومثل واعظ الذين كفروا	٩٩
تأثره بالشريف المرتضى فى هذه القاعدة	١٠٠
رأى بعض العلمـاء فى قوله تعـالى : كمثل ريح فيهـا صر ... الآية	١٠٣
رأى ثعلب فى الآية الكريمة السابقة : وفى قوله تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب اللـــــــــه	١٠٣
المصـــــــادر والمراجـــــع	١٠٥
فهرس الموضوعات	١٠٩

رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٧٣ لسنة ١٩٨٤